— ٤ —

وصف الأرض المقدسة

تأليف

جون أوف وورزبيرغ

(١١٦٠ — ١١٧٠)

استهلال

إلى

وصف جون أوف وورزبيرغ للأرض المقدسة

إنه بالنسبة للقول: من هو وورزبيرغ Wurzburg ما من شيء مؤكد معروف حوله، باستثناء ما يخبرنا هو نفسه به، من أنه كان كاهنا في الكنيسة في وورزبيرغ، ولقد كتب على الصفحة الأولى من مخطوط تيغرنسي Tegernseeبخط مخالف لخط المخطوط: « يعود هذا الكتاب إلى دير القديس قورينوس Quirinus في تيغرنسي، وهو يحتوي على وصف الأرض المقدسة، وخاصة مدينة القدس، من قبل السيد جون أسقف وورزبيرغ»، وكتب على غطاء الكتاب إلى جانب ثبت محتوياته الكلمات التالية:« تأليف جون أسقف وورزبيرغ» لكن في عودة إلى سجل أساقفة وورزبيرغ كان من غير الممكن الحصول على اسم جون، هذا من جانب ومن جانب آخر نعلم أن واحداً اسمه ثيودورك كان أسقفاً لووزبيرغ،وفي لائحة أسماء أساقفة الكنيسة الكاتدرائية لوورزبيرغ، الموجود في المكتبة الوطنية في ميونيخ، نجد أن ثيودورك قد جرى تعيينه أسقفاً في سنة ١٢٢٣، وأنه شغل منصبه لمدة سنة واحدة وشهرين وأربعة عشر يوماً، فهو قد توفي سنة ١٢٢٤ (تبعا لبوتهاست Potthas : في شباط ١٢٢٥)، في أيام حكم فردريك الثاني، وعلى هذا يبدو من المحتمل كثيراً أن ديترخ Dietrich الذي إليه وجه صاحبنا جون خطاب إهدائه هو ثيودورك نفسه. وعلى افتراض أنه قام برحلة حجة إلى الأرض المقدسة عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، لقد كان في السادسة والسبعين من عمره عندما اختير أسقفاً، وهذا محتمل الوقوع كثيراً، وأبعد من هذا ما من شيء مؤكد معروف عن جون أوف وورزبيرغ.

وبالنسبة للتاريخ الذي تمت فيه رحلة حجة، نعلم من ج.أ. فبريكوس في كتابه «مكتبة العصور الوسطى اللاتينية: ٤/ ١٧٠» أن جون قد كتب كتابه ليس بعد مدة طويلة عن سنة ١٢٠٠، وذهب برنارد بيز Pez في كتابه «الكنوز» (١/ ٨٧) إلى أنه لابد أن جون أوف ووزبيرغ قد شرع بكتابة ما رآه في القرن الثالث عشر، لكن فحصاً دقيقاً لأوصافه لايدع أي مكان للشك في أن زيارته للقدس قد تمت في أثناء وجود المملكة الفرنجية فيها، ويبدو من المحتمل من خلال مقارنة الكاتبين، أن جون أوف ووزبيرغ قد زار كنيسة الضريح المقدس قبل ترميمها، وأن ثيودورك فعل ذلك أثناء الترميم، حيث نقرأ في الفصل الثاني العشر من رحلتنا الحالية أن قبة بيعة الضريح المقدس كانت فضية اللون، وأنه تبعا لهذا كتبت الترنيمة الجماعية «قلم المسيح» حول قبة البيعة بأحرف فضية، هذا من نحو، ونعلم من نحو آخر من خلال فوقاس (الفصل: ٢١) أن الامبراطور البيزنطي مانويل كومينوس قد غطى الضريح المقدس باللون الذهبي، ويقول ثيودورك (الفصل:٥) بأنه قرأ الترنيمة وهي مكتوبة بأحرف ذهبية، ويجعلنا هذا نحاجح بأن ثيودورك لابد وقد رأى الكنيسة بعدما فعل ذلك جون، ولربما كان جون في القدس فيما بين سنة ١١٦٠ وسنة ١١٧٠، ومن المؤكد أنه كان موجوداً في يوم عيد القديس جيمس (٢٥— تموز)، وأثناء الاحتفال بيوم القديسة آن (حنة) (الفصل: ٢٦).

وكان الحاج رساماً ألمانيا متحمساً بحرارة، وذلك حسبما يظهر من ملاحظاته في الفصل الثالث عشر، وهي الملاحظات التي أزعجت الكاتب الفرنسي فيرير Verrier، ودعا برنارد بيز دفاعه عن الصليبين الألمان «بالصفحة النبيلة، وهي صفحة هي الأكثر تشريفاً لأمتنا، حيث قدم جون براهين كثيرة، أنه من العدل أن يعزى إلى الألمان استرداد الأرض المقدسة، وليس إلى الفرنجة وحدهم».

أما بالنسبة لمحتويات كتابه، فصحيح أن إ. روبنسون (أبحاث توراتية: ٢/ ٥٣٨، بوستن ١٨٥٦) قد قال: « للرحلة قيمة قليلة» لكن هذا حكم متسرع جداً، قد صدر من دون قراءة ما جاء فيها ووزنه بشكل ناضج ودقيق، ذلك أن وصفه للكنائس في القرن الثاني عشر له فائدة كبيرة، ولائحته بالنقوش المكتوبة ليست أقل قيمة، ومن الممكن تقديم وصفه لهيكل الرب وكنيسة الضريح المقدس بمثابة مثال، وذلك مع إيلاء الجغرافيا الاهتمام أيضاً، وبناء عليه نمنح كتيبه مكانة عالية.

ونعلم من استهلال المؤلف أن الوصف المقدم هنا ليس كل ما شاهده الحاج المؤلف شخصياً، لكن بعضه كان هو شاهد عيان له، وقد استعار بعضه الآخر من آخرين، ولعل ذلك كان من وصف تاريخي وجغرافي للأرض المقدسة وللمناطق المجاورة كان متوفراً آنذاك في كتاب كان رائجاً، ومنه كما يبدو استقى معظم كتّاب تلك الآونة رواياتهم، ويمكننا أن نفترض أن جون نزل في عكا، ثم ركب الطريق المعتاد للحجاج، وأنه زار شخصيا الناصرة (الفصل الأول) ثم ذهب من هناك عبر جينين ونابلس إلى القدس، ويعني هذا أنه زار أيضاً بيت لحم، وعاد إلى وطنه عبر يافا، وهكذا قدم جون نفسه بمثابة شاهد عيان، وأنه تولى وصف الذي رآه بنفسه، وأكثر من ذلك أكد كلامه عما رآه بشكل دقيق، ولقد قال في رسالة التكريس في مستهل كتابه أنه كان ينوي أن يكتب حول الذي هو موجود في داخل القدس، وليس بعيداً عن أسوارها، لكن ليس حول الأماكن البعيدة، وهنا لايجوز أن نفهم العبارة بشكل حرفي، لأنه ذهب إلى القول في الفصل الأول نفسه بأنه ينوي أن يقدم وصفاً مختصراً فقط للناصرة وللأماكن القائمة بينها وبين القدس، وينبغي ألا ننسى هنا أنه على الرغم من وجود الحكومة الفرنجية، كانت مناطق كثيرة غير آمنة، وكان على الحاج أن يرضي نفسه بزيارة أماكن قليلة، وكانت هذه الأماكن بالنسبة للأتقياء هي الأكثر أهمية، ونستخلص من هذا كله أن

وصفه للكثير من الأماكن يعوزه الاشراق والجدة والحداثة التي يأتي بها شاهد العيان، لابل أكثر من هذا نجد في كثير من الأوصاف لأماكن قد زارها كاهننا وورزبيرغ أنه نسخ بشكل مصطنع أوصافها عن آخرين، مثلما يفعل في أيامنا حب النسخ حيث حرك عدداً كبيراً من الأقلام للعمل، وعلى كل حال سواء أدعينا هذه أعمال نسخ، أو مشاهدات حاج، نجد أنها إذا كانت قد صنعت بلطف ومرونة وليس بشكل آلي، تمتللك العذر، لا بل تستحق التشجيع، لأن الحقائق التاريخية للعصور القديمة لا يمكن اختراعها .

ولغة المؤلف لغة لاتينية عادية للعصور الوسطى، لكنها أقل صقلاً من لغة ثيودورك، وكثير من أوصافه واضحة ومميزة، وبقدر ما يمكن أن يكتبه رجل متعلم، ومن غير الممكن اضفاء الكثير من المدح على ترتيبه لمواده، لأن هذا الترتيب متداخل ومشوش جداً، وقد صنع عدة ايماءات إلى الأختام السبعة لرؤيا القديس يوحنا، وقد جرى حذف هذا كله في هذه الطبعة .

- ٢٢٤٥ -

رسالة تكريس

يتمنى جون الذي هو الآن بنعمة الرب في كنيسة وورزبيرغ : الصحة، ورؤية القدس السماوية لأصدقائه المحبوبين ولتابعه ديترخ الذي نصيبه في ذلك هو نفسه .

إن معلوماتي عن أوضاعكم المعنوية، مشابهة تماما للمعلومات عن الرجال الجيدين، وكذلك بشأن حماستكم العظيمة لخدمة الرب وإطاعته، وذلك إلى جانب الروابط المتعلقة بالشؤون المنزلية، وحثني هذا بوساطة الحب لتنفيذ رغباتكم ــ التي أفترض أنها دوما من جانبكم عادلة ولطيفة ــ وما من رغبة من رغباتكم، تحتاج إلى جهودي لانجازها، وهي بقدر ما يمكن لطاقتي الوصول إليه، سوف لن تتحقق بشكل كامل ومرض، ولهذا السبب، إنني عندما ذهبت للحج إلى القدس من أجل حب ربنا يسوع المسيح، مع هذا إنني لم أنسكم أنتم الذين كنتم غياب، ومن خلال عواطفي نحوكم توليت وصف الأماكن المبجلة، التي قدسها ربنا، منقذ العالم بحضوره الجسدي، مع أمه مريم الرائعة، العذراء دوماً، وعساكره المحترمين من الحواريين، وأكثر بشكل خاص مدينة القدس المقدسة، وسيكون وصفي واضحاً ودقيقاً بقدر ما أستطيع، وأيضاً بذلت جهدي بوساطة قلمي لأن أقوم بجمع النقوش الكتابية الموجودة هناك، سواء ما كان مكتوباً منها نثراً أو شعراً.

وأعتقد أن هذا الوصف سوف يكون مقبولاً لديكم، للسبب التالي، وهو أن كل واحد من هذه الأماكن سيكون معروفاً لديكم من خلال هذا الوصف، حتى إذا حدث وذهبتم إلى هناك بقدر رباني وحماية سماوية، سوف تقدم هذه الأماكن نفسها إلى أعينكم بشكل طبيعي، ولسوف تجدونهم بدون تأخير أو صعوبة، بمثابة أماكن معروفة تماماً، أو

إذا حدث ولم تذهبوا إلى هناك ولم تروهم بأعينكم مباشرة، مع هذا يمكنكم بمثل هذه المعرفة تخيلهم والحصول على المزيد من الشعور الديني بقداستهم، وأنا أعرف تمام المعرفة، أنه قبل الزمن الحالي قد وصفت هذه الأماكن كتابة من قبل رجل محترم (لعله أركولف أوبيد)، وشمل الوصف ليس فقط هذه الأماكن نفسها الموجودة في القدس، لابل حتى الأماكن الواقعة على مسافة كبيرة منها، ومهما يكن الحال، بما أن المدينة غالباً ما تمّ الاستيلاء عليها وتهديمها من قبل الأعداء، خلال المدة الطويلة التي مرت منذ ذلك الحين،نجد أن هذه الأماكن المقدسة نفسها، التي نقدرها كثيراً، مما هو موجود داخل أسوارالمدينة، أو مما هو موجود على مسافة وجيزة خارجها، قد تعرض للهدم، وربما لتغيير الشكل فيما بعد، ولهذا السبب إن عنايتنا الدينية نحو مواقعها، التي تولينا وصفها كشهود عيان، ينبغي أن لايظن أنها من نافلة القول أو غير ضرورية، وعلى كل حال إنه فيما يتعلق بالأماكن القائمة بعيدا في المناطق المجاورة، لم نكلف أنفسنا بالكلام عنها، لمعرفتنا أنها قد وصفت بما فيه الكفاية من قبل آخرين.

وصف جون أوف وورزبيرغ للأرض المقدسة

الفصل الأول

إنه الآن بما أن انقاذنا قد بدأ في مدينة الناصرة، من خلال تجسيد ربنا، فهناك تم الاعلان بوساطة الملاك، لذلك نقترح أن يبدأ الوصف مع هذه المدينة نفسها، التي تقع على نحو ستين ميلاً عن القدس، وأن نمر بسرعة وباختصار بالأماكن القائمة بينها وبين المدينة المقدسة، على أننا نعلم بأن آخرين قد كتبوا أكثر حولهم.

ومدينة الناصرة التي تبعد عشرة أميال عن طبرية هي البلدة الرئيسية في الجليل، وقد تدعى « مدينة المخلّص»، لأن الحمل به جرى فيها،

وفيها أيضاً نشأ، ولهذا دعي بالناصري(١)، ويفسر بعضهم كلمة الناصره بأن معناها هو «الزهرة» أو «النبتة»، وهي حقاً جديرة بهذا الاسم، لأن هناك نمت الزهرة التي فاح شذاها فملأ العالم أجمع، والزهرة هي العذراء مريم، التي أعلن إليها هناك رئيس الملائكة جبرائيل أنها سوف تحمل بابن العلي الأعلى حيث قال لها: «سلام لك يامريم»الخ، وقد أجابته بقولها : «هو ذا أنا أمة الرب». (لوقا: ١/ ٢٨—٣٨)، وعن الناصرة قيل: « هل يمكن لشيء جيد أن يأتي من الناصرة»؟، ويجري في الناصرة النبع الصغير الذي اعتاد يسوع في طفولته أن ينضح منه الماء، ويأخذه إلى أمه.

وعلى ميل من الناصرة باتجاه الجنوب يوجد المكان الذي يدعى «الجرف»، ففي أسفله وقف الذين رغبوا في رميه نحو الأسفل، لكنه في لحظة اختفى عنهم، وفي هذا اليوم يدعى هذا المكان باسم «قفزة الرب».

والمدينة الثانية التي تبعد عن الناصرة مقدار ميل هي مدينة صفورية، وهي قائمة على الطريق الذي يقود إلى عكا، وقد جاءت حنة أم مريم، التي هي أم ربنا، من صفورية، وقد قيل أيضاً بأن العذراء المباركة مريم قد ولدت في صفورية، لكن تبعاً لجيروم، حسبما يخبرنا في توطئة الكتاب حول ميلاد مريم المباركة، الموجه إلى هيليودوروس Heliodorus :

١— ينبغي أن نميز هنا بين كلمة «ناصري» و«نصراني»، فالنسبة إلى الناصرة «ناصري» لكن ليس نصراني، هذا ويعتقد بعضهم بأن التسمية الأخيرة. قد استخدمت للمرة الأولى في أنطاكية من قبل بولص الرسول، لأنها الاسم المناسب للعقيدة الجديدة المزيجة بالغنوصية، وذلك استناداً إلى اللغة السريانية ووثائقها التي تعود إلى تلك الآونة، وأحدث من هذا مارآه بعضهم أن النسبة هي إلى نوع من السمك يصاد في خليج العقبة يحمل اسم نصراني، ويمضي هؤلاء إلى القول بأن مسرح احداث الانجيل المبكرةهي شواطىء العقبة، لأن مدينة الناصرة لم تكن موجودة آنذاك، وتبقى هناك مشكلة تحتاج إلى حل، هي أن صائبة العراق يسمون أنفسهم نصارى، ويقولون إن نبيهم هو يوحنا المعمدان، أي النبي يحيى عليه السلام.

قد روي بأنها ولدت في مدينةالناصرة نفسها، وفي الغرفة نفسها تحدثت فيما بعد وهي طفلة مع الملاك، وهذا ما يزال يرى في بعض الأماكن الخاصة، وذلك حسبما رأيت أنا ولاحظت.

وعلى بعد أربعة أميال من الناصرة، وميلين عن صفورية، باتجاه الشرق، تقوم قانا الجليل التي جاء منها فيليب وناثائيل، وحيث كان المسيح الطفل وقت جلوسه مع أمه أثناء حفلة عرس، فحول الماء إلى خمرة. وعلى مسافة أربعة أميال من الناصرة، بإتجاه الشرق، يقوم جبل الطور، حيث تحول يسوع بحضور حواريه، ونذكر منهم: بطرس وجيمس، ويوحنا، وكذلك موسى والياس، ويحتفل بعيد ذلك بشكل مهيب في القدس وذلك في يوم عيد القديس سكستوس Sixtus (٦— آب)، ولاسيما من قبل السريان، لأن هناك سمع صوت الآب يقول: «هذا هو ابني الحبيب» الخ. (متى: ١٧/ ٥)، وقدمنع بطرس ويوحنا وجيمس من إخبار أي إنسان بما رآه، وذلك حتى يقوم ابن الانسان من الموت، وهنا قال بطرس: « يارب جيد أن نكون هنا» (متى: ١٧/ ٤) الخ. وعلى مسافة ميلين من الطور، بإتجاه الشرق يقوم جبل حرمون، وعلى الطريق عند سفح حرمون، التقى ابراهيم وهو عائد من قتل أمالك بالمولى ملكيصادق، الذي كان هو نفسه سام بن نوح، وكاهن سالم، وهو الذي منحه خبزاً وخمرة، وهو نمط مذبح المسيح تحت النعمة.

وعلى ميلين من الطور مدينة «نعين» التي رد يسوع عند بابها إلى الحياة ابن الأرملة، الذي يسميه السكان المحليون باسم بارثلميو، وهو الذي أصبح فيما بعد حواريا، وفوق نعين جبل عين دور (جبل الدحي)، الذي عند سفحه، إلى جانب نهر كادوميم Cadumim، والذي يدعى أيضاً باسم نهر قيشون، غلب باروخ بن عمون الأدوميين، وذلك بناء على رأي النبية دبوره، وذلك عندما قتل سيسرا من قبل ياعيل زوجة حابر القيني، وطارد باروخ ذئب، وزبح، وصلمناع عبر الأردن وقتلهم

بالسيف، ودمر جيشهم تحت جبل عين دور وقربه (القضاة: ٤؛ ٧/ ٢٥؛ ٨/ ١٢)، وهكذا جاء في المزامير: «الطور وحرمون باسمك يهتفان» (المزامير: ٨٩/ ١٢)،الخ، وعلى مسافة ستة أميال من الناصرة وخمسة أميال من نعين تقوم مدينة يزرعيل التي تعرف أيضاً باسم زرعين، وهي التي تعرف الآن بشكل عام باسم «جينين الصغرى» ومن هذه المدينة كانت ايزابل، الملكة الأكثر شراً، التي انتزعت من نابوت اليزرعيلي كرمه، وهي التي لجشعها رميت نحو الأسفل من أعلى قصرها وقتلت، ومازال جبلها (هرمها) يُرى حتى هذا اليوم، وعلى مقربة من يزرعيل سهل مرج ابن عامر، الذي فيه غُلب أوزياس Ozias وقتل من قبل ملك السامرة، ثم حمل فيما بعد إلى صهيون ودفن هناك.

وعلى مسافة ميل من يزرعيل يقوم جبل جلبوع (فقوعه) الذي تحارب عليه شاؤول ويوناثان، ولهذا قال داود: « ياجبال جلبوع لايكن طل ولامطر عليكن» (صموئيل: ٢/ ١/ ٢١) الخ. وعلى مسافة ميلين من جلبوع باتجاه الشرق تقوم مدينة بيسان، وهي المدينة الرئيسية في الجليل، وهي تعرف أيضاً باسم بيت شان (بيت الثعبان) أي بيت أو مدينة الشمس، فعلى أسوارها علقوا رأس شاؤول، وعلى خمسة أميال من يزرعيل تقوم مدينة «جينين»، التي تدعى الآن الكبرى أو جينين الأكبر.

الفصل الثاني

ومع مدينة جينين تبدأ منطقة السامرة، ويمتد بينها وبين سبسطية سهل يدعونه باسم دوثان، ففي هذا السهل هناك إلى جانب الطريق الصهريج القديم الذي وضع فيه يوسف من قبل أخوته، وعلى بعد عشرة أميال من جينين تقوم مدينة السامرة التي تدعى أيضاً باسم سبسطية، وأوغسطة نسبة إلى أوغسطس، وفيها دفن رائد الرب، يوحنا المعمدان، الذي قتل صبراً من قبل هيرود، فيما وراء الأردن، وذلك على مقربة من البحر الميت في قلعة مكور، لكن جسده حمل من قبل حواريه

وجلب إلى سبسطية، ودفن فيها بين إليجيا وعوبيديا، وأخذ جسده فيما بعد من هناك من قبل يوليان المرتد، حيث يقال بأنه قد أحرق، وذر رماده في الريح، لكن ذلك كان بدون الرأس، حيث كان قد حمل قبل ذلك إلى الاسكندرية، ومن هناك إلى القسطنطينية، وأخيراً إلى فرنسا حيث دفن في مقاطعة بواتو، وذلك من دون اصبع السبابة التي أشار بها إلى يسوع ليأتي حتى يعمد، قائلاً: «انظروا حمل الرب»الخ، وأخذت هذه السبابة وحملت من قبل العذراء المباركة تقلا، إلى جبال الألب، وحفظت هناك وسط كثير من الاحترام في كنيسة (القديس يوحنا دي) مورين Maurienne. ويطلق اسم السامرة ليس على المدينة فقط بل على المنطقة أيضاً.

وعلى مسافة أربعة أميال من السامرة تقوم مدينة نابلس، التي تدعى أيضاً باسم شكيم، وهي قائمة فيما بين دان وبيت إيل، وحملت هذه البلاد اسم شكيم نسبة إلى شكيم الذي كان والده حمور، وشكيم هو الذي اغتصب دينه، عندما كانت تتمشى في بريته. وإلى شكيم جلبت عظام يوسف من مصر، وفي شكيم، وقرب النبع صنع يربعام العجلين من الذهب، ومثله مثل هرون جعلهما يعبدان من قبل عشرة أسباط تمكن من إغوائها، واقتادها معه، مبعداً إياها عن القدس، وأقام واحداً من هذين العجلين في دان، ووضع الآخر في بيت إيل، وقد دمر أبناء يعقوب مدينة شكيم هذه، وقتلوا حمور، لأنهم قد غضبوا كثيراً بسبب مضاجعة أختهم دينة،، وتدعى شكيم في هذه الأيام باسم نابلس، أي المدينة الجديدة، وتقع العسكر أمام شكيم (إلى الشرق)، قرب الحقل الذي أعطاه يعقوب إلى ابنه، وفيه يوجد بئر يعقوب، وهو أيضاً البئر، الذي حكي لنا في الإنجيل بأن الرب يسوع قد جلس فوقه، عندما كان متعباً من السفر، وتحدث إلى امرأة سامرية، وقد بني الآن في هذا المكان كنيسة، وعلى مقربة من شكيم توجد البطمة التي أخفى يعقوب تحتها

الأصنام في بيت إيل، وعلى مسافة ميل واحد عن شكيم تقوم مدينة لوز (خربة لوزه)، ففيها عاش إبراهيم لمدة طويلة، وهناك أيضاً رأى يعقوب في المنام السلم الذي يصل رأسه إلى السماء، والملائكة ينزلون ويصعدون بوساطته، وقال مباشرة عندما أفاق :« ما هذا إلاّ بيت الرب، وهذا باب السماء» (التكوين: ٢٨/ ١٧). وأقام عموداً ذكرى لهذا، وصب عليه زيتاً، وأطلق على المكان اسم بيت إيل، حيث كان اسمه من قبل لوز، وتقوم بيت إيل الآن على جانب جبل جرز يم، وهو الجبل الذي يتوجه نحو جبل جبعال (عيبال) باتجاه الشمال، مقابل دان، ووراء شكيم ، ويحكى أنه في جبل شكيم هذا حاول إبراهيم أن يضحي بابنه.

وعلى مسافة عشرين ميلاً من شكيم وأربعة أميال من القدس، وذلك على الطريق الذي يقود إلى اللد،هناك سيلو Silo (النبي صموئيل) وهو جبل ومدينة، تدعى أيضاً راما، فهناك بقي تابوت العهد وخيمة عهد الرب من أيام قدوم بني اسرائيل حتى أيام النبي صموئيل والملك داود.

الفصل الثالث

تقع القدس على مسافة أربعة وعشرين ميلاً من شكيم، وستة عشر ميلاً من بيسان، وسبعة عشر ميلاً من الخليل، وعشرة أميال من أريحا، وأربعة أميال من بيت لحم، وستة عشر ميلاً من بير السبع، وأربعة وعشرين ميلاً من عسقلان، والقدر نفسه من يافا، وستة عشر ميلاً من الرملة، والقدس هي المدينة الأكثر قداسة في اليهودية، وتدعى أيضاً باسم صهيون، ومن هذا المنطلق قد قيل: « قد قيل بك أمجاد يا مدينة الرب» (المزامير: ٨٧/ ٣)، وعرفت أيضاً باسم إيليا، ذلك أنها نالت هذا الاسم من إيليوس هدريانوس، الذي بناها، أو بالحري غيرها.

وتبعاً للفلاسفة تقوم القدس التي هي الحاضرة الرائعة لليهودية في وسط العالم، وقد حكم فيها داود أربع وثلاثين سنة ونصف السنة،

ويوجد في القدس جبل موريا، الذي عليه رأى داود الملاك يطعن الناس ويضربهم بسيف مجرد (صموئيل: ٢٤/ ١٦—١٧)، وخشية منه أن يتعرض هو والمدينة للعقوبة لأنه أذنب في تعداد الناس، انكب على الأرض في توبة حقيقية، وانفعال عميق، وقد سمعه الرب، ونال العفو، وعن داود قال الرب:« لقد وجدت رجلاً مطابقاً لقلبي»، وكان على جبل موريا عندما كان داود ملكاً مكان بيدر عرونة اليبوسي، ومنه أراد داود أن يبتاعه ليبني هناك بيتاً للرب، لأنه تلقى رحمة منه ومغفرة في ذلك المكان، وأمسك ملاك الرب بيده وأبقاه هناك، وقد اشتراه، لكنه منع من قبل الرب من الشروع بمثل هذا العمل، بسبب أنه كان رجل دماء (أخبار الأيام: ١/ ٢٨/ ٣)، وبناء عليه سلم الكنز الذي أعدّه لهذا الغرض إلى ابنه سليمان، الذي أذن له من قبل الرب ببنائه، وذلك حتى يتمكن من بناء بيت للرب.

وبنى سليمان على أرض البيدر هيكلاً، صار يدعى باسم بيت إيل، ومذبحاً، كرسه مقابل نفقات واسعة، وسأل الرب أن كل من سوف يبتغي الاستخارة حول أي مسألة مهما كانت، ينبغي أن يصغى إليه وهو المطلب الذي ناله ومنح له من قبل الرب، وبناء عليه إن بيت الرب هو بيت الاستشارة، وعاقب الرب فيما بعد ذنوب الأمراء والشعب بجعل«نبوخذنصر» يقوم بتشعيث الهيكل على أيدي «نبوز دان» الذي كان كبير قواده، وحدث ذلك أيام الملك صدقيا، الذي حرم من مدينته، وحمل كل شيء جميل كان في المدينة أو في الهيكل إلى بابل من قبل نبوخذ نصر، وأمر بسوق الناس أمامه إلى بابل، وبعد أمد وجيز هدم الفرعون نيكو Necho كل من الهيكل والمدينة، والآن على كل حال، خشية مني أن تبدو الحكاية مضحكة بالنسبة للمروية له، ومتعبة للمستمع، كنت سأقوم بتعداد تحت أي ملوك وبوساطة من كان البناء، ثم كان تهديم الهيكل الأول، ثم الهيكل الثاني، ثم الهيكل الثالث، ومتى حدث ذلك،

وإنني سوف أحاول جاهداً ياأحبائي الأصدقاء، أن أقدم أصدق رواية بإمكاني تقديمها حول مدينة بيت إيل الحالية، فبالنسبة لبيت إيل الحالية، إنه غير معروف تماماً في أيام حكم أي ملك قد استردت وأعيد اعمارها، ذلك أن بعضهم يقول إنها بنيت من جديد في أيام حكم الامبراطور قسطنطين، وذلك من قبل أمه هيلانة (حنة).وذلك تشريفاً للصليب المقدس، الذي عثر عليه من قبلها: وبنيت أماكن أخرى من قبل الامبراطور هرقل، تشريفاً لصليب الرب الذي أعاده من خلال نصره على فارس، كما وبنيت أماكن أخرى من قبل الامبراطور جستنيان، وشيدت أماكن أخرى من قبل ملك القاهرة (ممفيس) في مصر، تشريفاً لـ «الله الكبير»، لأن إليه تتحد جميع اللغات في التعبير عن عباداتها التقوية، وأقول أنا، إن الهيكل الحالي، هو المكان الذي— حسبما روي لي — جرى فيه ختن الطفل يسوع في اليوم الثامن من ولادته، وحملت غرلته بوساطة ملاك من السماء، من القدس وقدمت إلى شارلمان، وهذا الملك الكبير هو الذي جلبها إلى بلاد غاليا، إلى اكس لاشابيل (آخن)، ثم نقلت فيما بعد بوساطة شارل الجريء إلى أكوتين، إلى مقاطعة بواتو إلى كنيسة تشارو Charroux ، التي بناها لنفسه تشريفاً لمخلصنا، ومنحها بشكل ملكي بوفرة وافرة من الممتلكات، ووضعها تحت الاشراف الديني للرهبان، وهذا الأثر المقدس محفوظ فيها منذ ذلك الحين بشكل مهيب، وهو يُتعبد هناك.

الفصل الرابع

ودعونا الآن بالنسبة لتقديم ربنا نضيف أنه على كل حال فيما يتعلق بختانه — الذي حدث في هيكل الرب في اليوم الثامن — أن هذا الطقس وإن كان قطع الجلد يرمز فيه في أذهان الناس إلى طرح الشرور جانباً، إنه في الحقيقة ينتمي إلى العهد القديم، وبالمسيح وصل إلى كماله، وينبغي من ذلك الوقت فصاعداً أن يتوقف، ولا يعد الختان بين طقوس

القداسات في العهد الجديد، كما أنه لايتعلق مع أي من الأختام السبعة، وكما قلنا من قبل، أحضر ربنا يسوع المسيح إلى الهيكل بوساطة أمه، وقد وضع بين ذراعي سمعان المقدس، الذي بدأ يقول باسم روح النبوة: «أيها الرب، ذق الآن أنت فراق عبدك»، الخ، وبينما كان ربنا يسوع مقيماً في القدس، وكان قد وصل إلى الثانية عشرة من عمره، أخذ يتناقش في الهيكل مع اليهود، وغالباً ماعتاد فيما بعد على تعليمهم، مع أنهم كانوا يكرهونه، وامتدح في الهيكل تقدمة الأرملة الفقيرة، التي وضعتها في الخزينة، لأنها أعطت كل ما كان لديها، وأوقف الشيطان عيسى على الزاوية العليا للهيكل، المعتقد أنها فوق طرف الجدار الخارجي، وكان تحتها نوافذ بدت وكأنها بيناس Pinnas ، أو سيناس Cinnas ، (كذا؟)، وأغراه للمرة الثالثة، وبسبب تعميده وصومه قال: «إذا كنت ابن الرب ارم نفسك من هنا». ويروى أن المباركة مريم عندما كانت في الثالثة من عمرها، كانت موجودة في هيكل الرب، وذلك في يوم ٢١ — تشرين الثاني، وذلك حسبما تعلمنا هذه النقوش المكتوبة شعراً:

«في الثالثة من عمرها، ومعها سبعة من الرفاق الأعزاء

كرست أمة الرب ووهبت هناك».

وكانت غالباً ماتتلقى الارشاد من الملائكة، حيث جاء في الشعر:

«بخبز الحياة أطعم الملائكة

العذراء المباركة وقت حاجتها».

وكان تقديم العذراء المباركة وحضورها في الهيكل قد وقع يوم ٢١ تشرين الثاني، ولهذا يتلى الدعاء التالي في الهيكل نفسه:

دعاء

«يارب، يامن كنت بعد ثلاث سنوات مسروراً لتتلقى في الهيكل الأم

المقدسة للرب، التي هي هيكل الروح القدس، تفضل بقبول صلوات شعبك المؤمن، وامنحنا نحن الذين نحافظ الآن على عيد تقديمها، أن نتمكن نحن أنفسنا فنكون في هيكل يُجعل لك لتقيم به، من خلال مولانا»، الخ، الخ.

ولقد رمى مولانا يسوع المسيح وطرد البائعين والشراة من الهيكل، والبرهان على هذا أنه مايزال هناك في الجانب الأيمن من الهيكل مرئياً حتى هذا اليوم صخرة تعامل بتبجيل كبير، وهي مغطاة بمصباح وبزينة، لأن الرب مشى عليها، وهي ماتزال تحمل علامة قدم الرب، وكان قد وقف عليها لوحده بوساطة القوة الربانية، وتصدى لعدد كبير من الرجال، وألقى بهم بالقوة إلى الخارج: وهذه الصخرة موصولة بصخرة أخرى، ويوجد فوقها كما لوكان فوق مذبح رسماً لحضور مولانا هناك، وهذا مرئي في الصورة هناك وفي النقش الكتابي الفائق عليها الذي جاء فيه مايلي:

«ملك الملوك الذي ولد من أم عذراء

كان موجوداً هنا. هذه أرض مقدسة.

هنا رأى يعقوب السلم، وهنا بنى

مذبحه. علّنا نتمكن من تعليق أعطيات حوله».

لكن بالنسبة ليعقوب، الذي رسم وقد وضع رأسه فوق الصخرة نفسها، عندما رأى في منامه السلم الواصلة حتى السماء، الذي كان الملائكة يصعدون عليه وينزلون، ومع جميع الاحترام للهيكل، هذا ليس صحيحاً، مع أن الشعر التالي قد كتب هناك:

«يعقوب، هذه ستكون أرضك

وأولادك من بعدك»

لكن هـذا لم يحدث هنا، لكن في مكـان آخر بعيـد جداً، لأنـه كان في طـريقه إلى بـلاد الرافـدين، أي كـان على مقربـة من مـاهو ميريـا Ma-humeria ، الكبرى (البيرة).

وفي الهيكل أطلق ربنا سراح المرأة التـي أمسكت بتهمة الزنا، وحـررها من الـذين اتهموهـا بقولـه: «من هـو الذي بـلا ذنب» الخ، وقـال أيضاً عنـدمـا كان متهمـوهـا يـذهبـون بصمت: «أيتهـا المرأة، اذهبي بسـلام، ولاتذنبي من بعـد الآن». ويعرض المكان للمشاهـدة داخل كهف صغير في الهيكل نفسه، ومدخله هو على الجانب الأيسر للهيكل ويدعى «مكان الاعتراف»، وقد قيل بأن زكـريا قد دخل إلى المكان نفسه، عندمـا أكد له الملاك خبر الحمل بيحيـى، وكل هـذا قـد شرح بـوسـاطـة صـورة، كتب عليهـا مـايلي: «قال الملاك لـزكـريـا: لاتخش يـا زكـريا لأن دعـاءك قـد استجيب» الخ، وعلى الافريز فوق البـاب هناك تمثال للمسيح مع النقش التالي:

«من الذنب حررت أنا الناس

إذاما اعترفوا بذنوبهم لي».

وفي الهيكل، وقرب مذبح قـائم في الهواء الطلق، يبعد عن الهيكل أكثر من اثنتين وعشريـن خطوة، عـانى زكـريا بـن براخيـا من الموت شهيـداً، وعلى هـذا المذبح اعتـاد يهود العهد القـديم على تقـديم الطيـور والحمام، وقد غير بعد ذلـك من قبل المسلمين إلى مزولة، ومن الممكـن رؤيته حتى هذا اليوم، وهـو ملاحظ لأنه حتى هذا اليـوم يأتي كثير من المسلمين إليه للصـلاة، لأنه يشير نحـو الجنـوب، وهـو الاتجاه الذي يتجهـون إليـه في صلاتهم.

والآن إن هذا الهيكـل نفسه، هيكل الـرب، قد زيـن من قبل أحـدهم بألـواح رائعة من الـرخام وذلـك من الداخـل ومن الخارج، ولهذا الهيكل

شكل مستدير، أو بالحري دائري ثماني، أي له ثمانية أضلع، منتظمة على شكل دائرة، وجدرانه كلها مزينة من الخارج، من الوسط نحو الأعلى بأجمل أنواع الفسيفساء، لأن البقية من الرخام، وهذا الجدار المنخفض نفسه مستمر، باستثناء أنه مخروق بأبواب أربعة، حيث يتجه أحد الأبواب نحو الشرق، وهو ملتصق ببيعة مكرسة للقديس جيمس، لأنه رمي من ذلك الجانب من سقف الهيكل نحو الأسفل، ثم قتل بعصا القصار، ذلك أنه كان أول كاهن أعلى في ظل الشريعة الجديدة للنعمة في القدس، ولهذا فإن الأبيات الشعرية التالية قد نقشت في البيعة نفسها، على جانب الجدار:

«ابن ألفيوس، شبيه المولى بالوجه

رمي من الهيكل، فهلك في هذا المكان

هنا الجمهور الضال، بعصا القصار

قتل جيمس العادل، لأنه بشر بالمسيح علناً»

وكتب في أعلى وداخل قبة السلسلة للبيعة نفسها مايلي:

«ابن ألفيوس، أخو ربنا

ناصرياً كان جيمس الذي بشر بالكلمة

اسرائيلياً، في الحقيقة، لم يوجد

به عيب — صياد سمك لبعض الوقت كان.

بأيد مدنسة رمي من أعلى الهيكل،

وضرب بعصا، وطارت روحه إلى المسيح».

ويوجد في الجانب الشمالي باب (باب الجنة) يقود إلى دير القانون،

وعلى الافريز فوقه كثير من الكتابات الاسلامية قد نقشت، وفي ذلك المكان نفسه إلى جانب ذلك الباب نفسه موقع الماء العذب، الذي قال عنه النبي: «رأيت ماءً يخرج من هذا الجانب» الخ، وعند المدخل إلى الهيكل باتجاه الشرق، يوجد فوق الساباط تمثال للمسيح، وقد نقش حوله النص التالي: «بيتي سوف يدعى بيت الصلاة»، وله أيضاً باب في الجنوب (باب القبلة)، يطل باتجاه بناء سليمان، وهناك بالغرب أيضاً باب (الباب الغربي) يطل باتجاه ضريح ربنا، وهناك أيضاً بوابة جميلة (باب السلسلة)، من خلالها كان بطرس ماراً مع يوحنا عندما أجاب الرجل الأعرج الذي سأل احساناً بقوله: «ليس معي لافضة ولاذهبا» الخ، ولكل من هذين المدخلين — أعني ذاك الذي على الشمال والذي على الجانب الغربي — ستة أبواب مرتبة، كل باب بمصراعين: أي على الجانب الجنوبي هناك أربعة، واثنان فقط على الجانب الشرقي، ولكل مدخل من المدخلين مظلة جميلة.

هذا فيما يتعلق بالقسم المنخفض من الجدار، أما في القسم العلوي حيث أشكال الفسيفساء الرائعة فهناك الآن نوافذ مقحمة بالجدار بشكل جميل، حيث يوجد خمس نوافذ على كل جانب من الجوانب الثمانية، باستثناء الجوانب التي فيها أبواب الهيكل، فهذه في كل منها أربع نوافذ فقط، وهكذا يكون العدد الاجمالي للنوافذ ست وثلاثون نافذة، وبين هذا الجدار الذي يشكل الاطار الخارجي، والأعمدة الرخامية العظيمة، التي عددها اثني عشر عموداً والتي تدعم الرواق الداخلي الضيق، جدار أعلى، وهو جدار مستدير فيه اثنتي عشرة نافذة، ولها تحتها أربع من السواري الحجرية المربعة، ثم أعود لأقول: بين الجدار الأول والجدار الآخر ستة عشر عموداً وثمانية من السواري الرخامية المربعة، وهناك ثماني خطوات بينهم، وتدعم كل سارية على الطرفين سقفاً، قائماً بين الجدار الأكثر اتساعاً؛ والجدار الداخلي الأضيق، موفرة بذلك مسافة

للسير في أي اتجاه، وفيـــهأنابيب من الرصاص لنقل مياه الأمطار، ويقوم فوق هذا الجدار الداخلي الضيق قبة مستديـرة عالية، مطلية من الداخل، ومغطـاة بـالـرصـاص من الخارج، ويـوجـد في أعـلاهـا تمثـال للصليب المقـدس، وكـان الـذي تـولى وضعه هـم المسيحيـون، وهـو مـزعج جـداً للمسلمين، ويـود كثير منهم عن طـواعيـة إنفـاق الكثير من الـذهب في سبيل إزالته، ومع أنهم يؤمنون بـآلام المسيح، إلا إنهم يحترمون هذا المعبد، لأنهم يعبدون خـالقهم فيـه، وهذه العبـادة ينبغي عدّهـا وثنية، بنـاء على رأي القـديس أوغسطين، الـذي أعلن أن كل شيء هـو كفـر، إذا لم يكن فيه إيمان بالمسيح.

ويوجـد حول الهيكل، وجـزئياً تحت سقفه في الجانـب الخارجي وذلك وأنت ذاهـب نحو الغـرب هذا النقـش: «علّ هـذا البيت يتمتع بسـلام دائم من الآب السرمـدي، ولتكن المبـاركة هـي المجد للـرب في موضعـه المقدس». وكتب على الطرف الجنوبي مايلي: «بني بيت الرب بشكل جيد على صخرة ثـابتة. مبـاركون الذين يسكنـون في بيتك، ولسوف يحمـدونك ويحمـدونك إلى الأبـد». ونقش على الجانب الشرقـي: «في بيتك أيها المولى سـوف يتحـدث جميع النـاس عـن مجدك». وكتب على الجانـب الشمالي: «هيكل الرب مقدس، والرب يعتني بـه، والرب هو الذي بناه». وكتب في داخل الهيكل بأحـرف كبيرة فوق «الكورنيش» الأعلى حول البنـاء، الدعاء التالي: «أيها الرب اسمع ترنيمتي» مع جوابها الشعري: «انظر إلي يارب»، وكتب على الكـورنيـش أيضاً بـأحـرف ذهبية عـدة أبيـات من تـرنيمـة: «القدس المباركة».

وبني هـذا الهيكل وزين بشكل جميـل، وله على جـوانبه جميعـاً عتبات واسعة ومستـوية، مبلطة بحجارة متنـاسقة مع بعضها، وهناك عتبـة منها مربعـة الشكل ويصعد إليهـا من ثلاثـة جوانب، وفي الحقيقة بنيـت هذه العتبة بشكل رائع جـداً، وذلك تماشياً مع طبيعة الأرض، ولها في جـدارها

الشرقي مدخل واسع من خلال خمسة أقواس، قد تم وصلها بوساطة أربعة أعمدة عظيمة، وبهذا الشكل ينفتح هذا الجدار نحو البوابة الذهبية، التي مرّ خلالها ربنا في موكب نصر قبل اليوم الخامس من آلامه، وكان راكباً على ظهر أتان، وقد جرت تحيته من قبل أطفال يهود كانوا يحملون سعف النخل، وكانوا ينشدون أماديح ويقولون: «التحيات لابن داود»، الخ، وبقيت هذه البوابة دوماً بوساطة الوقاية الربانية دون أذى، مع أن القدس جرى الاستيلاء عليها منذ ذلك الحين وهدمت من قبل جيوش معادية؛ زيادة على هذا تحمل هذه البوابة ذكريات دينية بشأن دخول مولانا الرباني المليء بالأسرار، عندما قدم من بيت عنيا عبر جبل الزيتون إلى القدس، وكانت البوابة مغلقة من الداخل، ومسدودة بالحجارة من الخارج، ولم تكن تفتح لأحد من الناس إلا يوم أحد السعف، وهو يوم محدد كل سنة اتخذ تذكاراً لما حدث، وهي تفتح بشكل مهيب للمسيرة ولجميع الناس سواء أكانوا من سكان المدينة أو من الغرباء، وبعدما ينهي البطريرك موعظة القداس إلى الناس عند سفح جبل الزيتون، وعندما ينتهي القداس لذلك اليوم تغلق ثانية طوال السنة، كما كان الوضع من قبل، اللهم إلا يوم تمجيد الصليب المقدس. ففي هذا اليوم تفتح أيضاً، وعند نهاية أسوار المدينة وقرب أسفلها على مقربة من هذه البوابة يقوم موقع المقبرة المشهورة.

وللعتبة عند طرفها الجنوبي مدخل واسع، خلال ثلاثة أقواس واسعة موصولة مع بعضها بوساطة عمودين، ولها عند الطرف نفسه مدخل آخر أوسع من الأول، ويوجد على الطرف الغربي باتجاه المدينة مدخل جميل، من خلال أربعة أقواس موصولة بوساطة ثلاثة أعمدة من الرخام، وعلى الطرف الغربي من هذه العتبة جزء ضيق بسبب وجود دير قانوني بني فوقها، لكن المتبقي من ذلك الجانب هو جميل واسع، وله مدخل أخّاذ، ويوجد أيضاً على الطرفين الجنوبي والغربي فسحة مستوية، أنيقة وذات

حجم وافر، ويوجد على الطرف الشمالي أيضاً قطعة مستوية من الأرض، امتداداتها فيما وراء العتبة.(١)

ليكن هذا الوصف للهيكل المتقدم الذكر مع مايحيط به كافياً، ولن نحسد أي إنسان يمكنه أن يكتب أفضل.

الفصل الخامس

وعندما تنزل إلى الشارع الرئيسي، تجد باباً كبيراً، بالدخول منه تصير في داخل ساحة واسعة تعود للهيكل، ويوجد على الطرف الأيمن باتجاه الجنوب قصر قيل إنه بني من قبل سليمان، حيث يوجد هناك اسطبل رائع، له حجم هائل يمكن أن يستوعب أكثر من ألفي فرس، أو ألف وخمسمائة جمل، ويمتلك فرسان الداوية إلى جانب هذا القصر كثير من الأبنية الواسعة المتصلة مع بعضها، وهناك أيضاً أساسات لكنيسة جديدة وواسعة، هي لم تنته بعد، لأن تلك الرهبنة تمتلك الكثير من الممتلكات وموارد لاتعد ولاتحصى في كل من هذه البلاد وفي مناطق أخرى، وهي تقدم مبلغاً كبيراً من المساعدات إلى الفقراء في المسيح، لكن ذلك لايعدل عشر مايقدمه الاسبتارية، ويمتلك بيت الداوية أيضاً عدداً كبيراً جداً من الفرسان لحماية أرض المسيحيين، لكنهم أصيبوا بانتكاسة، لست أدري أهي صحيحة أم مزيفة، لطخت سمعتهم وسببت إتهامهم بالخيانة، الأمر الذي تبرهنت صحته بشكل واضح، في قضية دمشق المعروفة، في ظل قيادة الملك كونراد (الثالث ملك ألمانيا الذي حاصر دمشق مع قوات الحملة الثانية).

١ــ في العبارة الأخيرة إشارة إلى منطقة الحرم، وبما أن حديث الرحالة هنا ووصفه قد تناول المسجد الأقصى، فالقيمة كامنة في وصفه للتغييرات والإضافات التي أحدثها الصليبيون، أما مابناه من معطيات تاريخية فلا قيمة له، لأن المسجد بني بعد الفتح الاسلامي على بقعة فارغة بدون بناء، كما ثبت من خلال الحفريات الأثرية أن القدس لم تعرف لاهيكل أول ولاثاني ولاثالث.

وإلى جانب أبنية الداوية، على الجانب الشرقي، وفوق سور المدينة، كان مسكن سمعان العادل، حيث قيل بأنه استقبل فيه مراراً مريم العذراء المباركة، أم ربنا، باكرام وترحيب، حيث رعاها وأعطاها طعاماً، وقد فعل ذلك ليلة النهار الذي كان اليوم الرابع عشر لميلاد ربنا، ولقد كان عليه تقديم الطفل وأمه في الهيكل، وبينما كان حاملاً إياه بين ذراعيه، وكان سيقدمه أمام المذبح، شعر بروح النبوة، أنه سيكون هو، المنتظرمنذ أزمان طويلة مضت، والمتطلع إليه برغبة صامتة من قبل الآباء الأقدمين، فغنى بشكل نبوي وقال: «مولاي، دعو أنتم الآن عبدكم يغادر بسلام» الخ، وفي هذا البيت نفسه، الذي تحول الآن إلى كنيسة يرقد مدفوناً سمعان المبارك، وذلك حسبما يخبرنا به الشعر الذي كتب هناك، وفي الأسفل، في قبو هذه الكنيسة نفسها، مايزال المهد الخشبي العائد للمسيح موجوداً، ومحفوظاً، وهو معروض بتبجيل عظيم.

الفصل السادس

عندما كان وقت آلام ربنا يقترب، جاء ربنا يسوع إلى بيت عنيا في وقت متأخر في المساء، قبل أحد السعف، وفي اليوم التالي — أي في يوم الرب — دخل إلى المدينة المقدسة بالشكل المهيب الذي كنت قد تحدثت عنه، وتقع بيت عنيا على مسافة ميلين عن القدس، وهي البلدة التي غالباً ماكان يستقبل سمعان أو لعازر فيها المولى يسوع كضيف وعندما كانت مريم ومرثا تعتنيان به بإيمان واخلاص، وفي بيت عنيا كسرت مريم المجدلية الصندوق المرمري، ولكي تظهر تفانيها وإيمانها صبت الدهن الثمين على رأس المخلص، عندما كان جالساً إلى المائدة، وامتلأ ذلك البيت بشذى رائحة ذلك الدهن، وقيل أيضاً أن مريم المجدلية قامت في المكان نفسه، أو بالحري في مكان آخر، هو بيت سمعان المجذوم، وذلك قبل وقت طويل، عندما كانت ماتزال مذنبة، دفعتها توبتها للإرتماء عند قدمي مولانا، عندما كان جالساً إلى مائدة، وغسلت

قدمي يسوع بدموعها، وجففتها بشعرها، ودهنتها بدهن آخر، هو دهن التوبة، وذلك حتى تنال من الرب العفو عن ذنوبها. وبناء عليه عندما نجد في أي مكان من الكتابات المقدسة بأن مريماً أخرى جاءت وارتمت عند قدميه، وواحدة أخرى هي التي دهنت رأسه، شرح ذلك علماؤنا وبينوا أنها كانت واحدة أخرى — أي كانت امرأة متغيرة — لأنها جاءت في المرة الأولى كمذنبة تتحرق للتوبة، وجاءت في المرة الثانية امرأة قد تيب عليها وهي مليئة بالوجد والإيمان، ويوجد الآن داخل أسوار المدينة المقدسة كنيسة، قائمة على مقربة من كنيسة القديسة حنة، على الجانب الشمالي قرب سور المدينة، هي مكرسة على شرف القديسة مريم المجدلية، ويعيش فيها رهبان يعاقبة، قد ذكروا أن بيت سمعان المجذوم كان قائماً على تلك البقعة، وهو الذي دعا ربنا إلى عشاء، في أثنائه جاءت مريم المجدلية وارتمت على قدمي يسوع، وقد غسلتهما بدموعها، وقبلتهما، ومسحتهما بشعرها، ودهنتهما بدهن، وهم يؤكدون هذا، وبالفعل يعرضون للمشاهدة المكان عينه (وقد رسم على الأرض بوساطة صليب) المكان الذي ارتمت فيه مريم على قدمي يسوع، وبرهنا على ذلك بوساطة صور، وهم يعرضون للمشاهدة في هذه الأيام شعر مريم الموجود داخل وعاء شفاف موضوع فوق تلك البقعة.

وقالوا أيضاً هناك مريم أخرى، هي التي كانت أختاً لكل من لعازر ومرثا، وهي التي كسرت صندوقاً من المرمر في بيت عنيا، التي كانت هي البلدة التي عاش فيها الثلاثة، وصبت زيتاً ثميناً على رأس ربنا: ويحكى أن ضريحها مرئي في هذا اليوم في طبرية،مع جسدها المدفون هناك، وهم يقرون أن جسد مريم المجدلية يرقد في بلادنا،لأنها دفنت في فيزيليا Vezelai(في بيرغندي)، وهم يعلنون هذا،ذلك أنني سمعته بأذني شخصياً، لكن حسبما قيل أعلاه يقول العلماء المختصون لدينا بأن مريم التي دهنت قدمي يسوع ورأسه،وأخت لعازر كانتا امرأة واحدة هي

نفسها،فهي قد كانت في إحدى المرات مذنبة،هذا ويلاحظ أن نص الإنجيل حول هذا الموضوع صعب جداً حتى يمكن فهمه حول هذه النقطة،ويجعل،حتى أكثر القراء حرصاً غير متأكد فيما إذا كان سمعان الفريسي قد امتلك بيتاً في بيت عنيا،ودعا ربنا إليه،وهو أمر بعيد الاحتمال،لأن تلك البلدة كلها كانت ملكاً لـ «لعازر»وأختيه،وإذا كان سمعان قد امتلك بيتاً في مكان آخر—ربما في المكان الذي تقدم وصفه أعلاه— يبات من الضروري متابعة القول أنه هناك،لابد أن مريم قد قامت للمرة الأولى هناك فدهنت ليس فقط قدمي يسوع بل رأسه أيضاً، فهذا مايمكن فهمه من كلمات ربنا في الانجيل، حيث قال:«سمعان إني قد دخلت بيتك»(لوقا:٧/ ٤٤)الخ،لكن عندما كان في مرة أخرى في بيت عنيا—وكأنه كان في بيته— قامت مريم هذه نفسها فدهنت رأسه لوحده،وكسرت صندوقاً من المرمر فوق رأسه،ولهذا نقرأ في الانجيل:«وفيما كان يسوع في بيت عنيا»الخ(متى:٢٦/ ٦)، وإذا مارغب أي واحد أن يتلقى معلومات أكثر تأكيداً حول هذه المسألة،دعوه نفسه يأتي ويبحث حول كيفية هذه المسألة وصدقها من سكان محليين من هذه البلاد،لأنني عرفت هذا من خلال الكتابات المقدسة،وليس تماماً من هؤلاء الناس.

وبين بيت عنيا هذه وقمة جبل الزيتون،في حوالي منتصف الطريق، كانت تقوم قرية بيت فاجي،وهي قرية كهنة،وماتزال آثار منها قائمة ممثلة في برجين حجريين،واحد منهما هو كنيسة.

الفصل السابع

وعندما كان— كما قلنا— وقت الآلام يزداد قرباً، وبعدما أقام لعازر، (من الموت)قدم الى القدس في يوم أحد السعف، وبعد الدخول المهيب لذلك اليوم، الأمر الذي تحدثنا عنه،عاد الى جبل الزيتون،ناويا البقاء هناك حتى اليوم الخامس من الاسبوع،وهو اليوم الذي قصد أن يأكل فيه

مع حواريه العشاء الذي جلب العهد القديم الى نهايته،وبدأ العهد الجديد،وعندما سأله حواريوه·أين يرغب أن يتناول العشاء الأخير، بعث بواحد منهم الى المدينة،علّه يذهب ويعدّ له مكان إقامة، أو مكاناً مناسباً،لإقامة قداس هذا العشاء،الذي نقرأ عنه بتوسع أعظم في الانجيل قوله:« إذهبا الى المدينة ولسوف تلتقيان برجل يحمل جرة ماء»الخ(لوقا:٢٢/ ١٠)،وعثر على مكان«علّية العشاء الأخير» هذا فوق جبل صهيون،في المكان الذي يقال بأن سليمان قد بنى فيه بناء عظيما،وهو البناء الذي نقرأ عنه في نشيد الانشاد قوله:« الملك سليمان عمل لنفسه تختاً» الخ(نشيد الانشاد:٣/ ٩)،وكانت عليّةالعشاء الأخير في الطابق الأعلى من البيت،وكانت كبيرة وواسعة،ويحكى أن ربنا تناول في أحد الجوانب مع حواريه العشاء وذلك من أجل الاحتفال بالقداس، وأومأ هناك بشكل حذر الى الذي سيتولى خيانته،مطمئنا البقية حول ما يتعلق بآلامه،التي سوف تكون بعد قليل،وأعطاهم جسده على شكل خبز ليأكلوه،وأعطاهم دمه على شكل نبيذ ليشربوه قائلاً:« افعلوا هذا مرارا بقدرماتستطيعون»الخ.

وبعد ماتعشى في الجزء العلوي من ذلك البيت،يبدو من المعقول أن مولانا عندما كان يعرض ذلك القداس،ضرب لحواريه مثلاً عن تواضعه بقيامه بالقسم الأسفل من البيت بغسل أقدامهم،وسواء أخترت أن ترى ذلك قد حدث قبل العشاء،أو بعده،حسبما أشارت الى ذلك بعض الشروح حول ذلك النص الوارد في انجيل القديس يوحنا قوله:« قام عن العشاء» الخ(يوحنا:١٣/ ٤)، وسواء أحدث هذا قبل العشاء أم بعده، فهذا ليس بعظيم قيمة،ومع هذا يود الانسان أن يعرف ماحدث،لأن عرض المسألة في هذه الأيام في الكنيسة على جبل صهيون،يوميء الى أنها قد حدثت في مكانين مختلفين،لأنه يوجد في هذه الكنيسة نفسها في الجانب اليساري منها،في الطابق العلوي صورة

للعشاء، وفي الطابق الأسفل— أي أن تقول في القبو— من الممكن رؤية منظر يمثل غسل أقدام الحواريين.

الفصل الثامن

وبعد الفراغ من هذه القداسات،عاد مع تلاميذه الى الصلاة فوق جبل الزيتون،الذي أضاع عند سفحه ومنحدره حواريه،وابتعد عن هناك لوحده مسافة حوالي رمية حجر،أي الى جيسماني، وصلى الى أبيه قائلاً:« أبي،إذا كان من الممكن»الخ،حيث أنه من آلام جسده صار عرقه يتصبب وكأنه نقاط من دم،وعاد الى حواريه فوجدهم نيام،وعندها قرعهم وقرع بطرس خاصة قائلاً:«ألم يكن بإمكانك السهر معي ساعة واحدة»؟وقال للحواريين الآخرين: «ناموا الآن وخذوا راحتكم»الخ،ثم ابتعد عنهم للمرة الثالثة وعاد الى المكان نفسه،وقدم الصلاة نفسها الى الرب الآب، وبعد طول لأي تطمأن من الآب،واطمأن في نفسه ،وبعدها عاد المولى الى حواريه للمرة الثالثة وقال:« اسهروا وصلوا»، وهذه الأماكن التي بقي فيها الحواريون في الخلف والمكان الذي صلى فيه الرب،واضحة ويمكن رؤيتها في وداي يهوشافاط(شعفاط)،لأنه على مقربة من الكنيسة الكبرى،التي يوجد فيها قبر العذراء مريم المباركة— الذي سوف نتكلم عنه بعد قليل — هناك في اليوم الحالي على الجانب الأيمن من المدخل المؤدي إليها بيعة فيها قبو،بقي فيه الحواريون،ومكثوا حزينين ونائمين نوماً ثقيلاً،في حين ابتعد الرب عنهم ثلاث مرات ثم عاد إليهم العدد نفسه من المرات،ومن الممكن رؤية هذا بوساطة صورة ماتزال موجودة،لكن المكان الذي صلى فيه ربنا محاط بوساطة كنيسة جديدة،وهي الكنيسة التي تدعى باسم كنيسة المخلص»فعلى أرضيتها تقف ثلاث صخور غير منجورة،قيل بأن الرب صلى عليهن،وجثا ثلاث مرات،ويتعبد الناس المؤمنون بالمسيح هذه الصخور بتقوى عظيمة جداً ويقدمون لهن التقدمات،وفي هذا القبو المتقدم الذكر عرف مولانا أن

يهوذا كان يقترب منه ومعه أوباشه،لأنه بعد انقضاء العشاء بوقت قصير،وفي الوقت الذي بقي فيه الحواريون الآخرين مع مولانا،ذهب يهوذا وابتعد لوحده ماضياً الى اليهود ليتساوم معهم حول خيانة مولانا، وبعدما استلم ثلاثين قطعة من الفضة ثمنا لخيانته،كان الآن يقترب مع حشد من الناس، وأقول:عرف يسوع بهذا، فقال في القبو نفسه لحواريه:« انهضوا،ودعونا نذهب،انتهبوا إنه قد اقترب» الخ، وغادر جيسماني،وقد تم التعرف عليه بوساطة قبلة يهوذا،ولهذا اعتقل،وحمله الحشد معه،وهو الحشد الذي أرسل لاعتقاله،ومن الممكن الآن أن يرى الانسان في هذا القبو المتقدم الذكر خمس علامات على صخرة واحدة، حيث قالوا بأنها انطبعت عليها بوساطة الأصابع الخمسة لمولانا، وعندما أقول: لمولانا، أعني عندما اعتقل وأبقى نفسه في الخلف بعيداً عن معذبيه، الذين كانوا يجرونه بعنف لإبعاده وأخذه، وهذا على كل حال ممكن الحدوث، مع أننا نعلم بدون أدنى شك أنه كان قادراً على تنفيذ أفعال أعظم قوة وأكثر قدرة.

الفصل التاسع

لقد جرت خيانة ربنا— كما قلنا— من قبل حواريه، وقد حمل وكتف من قبل جندي روماني، وجلب إلى جبل صهيون، حيث قام في تلك الآونة الـ Praetorium أو قاعة القضاء لـ «بيلاطس»، التي عرفت باسم «الرصيف» أو جباثا Gabbatha»، لأنه كان في ذلك الوقت أجمل أجزاء المدينة كلها وأقواها موجوداً على ظهر ذلك الجبل، وكذلك برج داود، الذي كان برج المراقبة والمكان الحصين لبقية المدينة، فهو قد بني هناك، وعلى هذا كان الجزء المنخفض من المدينة وكأنه قد جيء به واعتني به مثل أم دعت ابنتها، ومن هنا جاءت الكلمات التالية:«أخبرك يا ابنة صهيون»الخ، لكن بعد هذا عندما هدمت المدينة التي كانت قائمة هناك، ونقلت إلى مكان آخر، حيث هي الآن قائمة في

هذه الأيام، وذلك من قبل الامبراطور إليوس (هدريان)، اقتطع من ظهر الجبل ومن ارتفاعه كثيراً، وجعل أكثر انخفاضاً، وجرت إزالة البرج من عليه مع الأبنية الأخرى. وعلى كل حال من الممكن في هذه الأيام رؤية المكان الذي قامت فيه قاعة المحكمة وبرج داود، وقام في ذلك الحين بناء كبير إلى جانب قاعة المحكمة، على الطرف الجنوبي منها، ففي هذا البناء تناول الرب العشاء مع حواريه، وعلى مقربة من قاعة المحكمة، وعلى الطرف الشرقي منها كانت القاعة التي اقتيد إليها مكتوفاً، وأبقي فيها طوال الليل، وهو تحت رقابة الحرس ورقابة مقدمي اليهود، وذلك حتى ساعة ظهوره في المحكمة في صباح اليوم التالي، وفي قاعة المحكمة هذه أنكر بطرس الرب ثلاث مرات قبل صياح الديك، وهناك أيضاً عندما صاح الديك، التفت الرب ونظر إليه، وبتقوى تذكر كلمات يسوع، وكان بالفعل صبوراً، وبكى بمرارة، وعاد إلى القبو الذي يدعى في هذه الأيام «مكان صياح الديك» ومن قبل العامة «الجليلي».

وظهر المسيح على جبل صهيون لحوارييه، ولهذا جرت كتابة البيتين التاليين على جانب الطرف الأيمن من الكنيسة:

«هنا قام المسيح حسبما رئي من قبل رجال الجليل

والجليلي هو الاسم الذي سوف يعرف به هذا المكان دوما»

وعلى الطريق الذي يقود نزولاً من صهيون إلى وادي يهوشافاط، وتحت باب جبل صهيون، وفوق هذا القبو، تمّ بناء كنيسة، هي في هذه الأيام بأيدي رهبان إغريق.

وحدث في اليوم التالي، بعد صدور الحكم غير العادل، جرى جلد الرجل المُدان في مكان قائم أمام قاعة المحكمة، وضرب وأهين وبصق عليه، وألبس ثوباً أرجوانيا، وتوّج بتاج من شوك، حسبما هو معروض بالنقش التالي الموضوع فوق تلك البقعة، ونص هذا النقش هو كما يلي:

- ٢٢٦٩ -

«هنا بسخرية توّج

الذي يحكم العالم كله»

زد على هذا، لقد تمت الاشارة الى هذا المكان أيضاً بوساطة بيعة قائمة إلى جوار الكنيسة الكبرى القائمة على صهيون، على الطرف الأيمن منها، وهي تحتوي على صورة لما حدث، مع النقش التالي:

«إن الذي جعل القديسين قديسين قد أدين بصوت المذنبين،

وهو الذي من أجل عبيده جلد ولطم،

وتحت الصليب قد سقط، لكن سمعان أعانه جيداً،

ولن يعاني من خسارة الذي يحمل ذلك الصليب المبارك».

وفي هذا المكان نفسه، وبعد قرار الحكم، وابلاغه بالادانة والصلب، وضعوا على كتفي الرب الصليب الذي كان قد أُعدّ من أجله، وذلك من أجل حمله إلى مكان الصلب، ومن أجل أن تتحقق النبوءة التي تقول:«وتكون الرئاسة على كتفه» الخ (اشعيا: ٩/ ٦)، وصدف أن جاء رجلاً قيروانيا، أرغموه على خدمتهم بجعله يحمل الصليب إلى مكان الجمجمة، لأسباب طقوسية.

الفصل العاشر

وكان هنالك في ذلك الوقت في مقابل موقع المدينة القديم، موقع اسمه أكرا (الجمجمة)، وكان خارج المدينة، وقد أقيم منعزلاً من أجل الذين حكم عليهم بالاعدام، وبسبب صلعهم— لأن شعورهم قد قصت، وتغير لون جماجمهم بسبب الرياح، وجردت من الجلد ولم تدفن في الأرض— أطلق على المكان اسم الجمجمة، أو بسبب أن المجرمين كانت شعور رؤوسهم تقص، أي تنفذ العقوبات هناك، وكان هذا المكان المسمى بالعبرية الجلجلة صخرة قديمة، ومثلما الحال في كثير من المدن

في هذه الأيام، يتم عزل الأماكن المرتفعة خارج الأسوار، وتفرد من أجل تنفيذ حكم الإعدام بالذين حكم عليهم بالموت، وفي الوقت الذي أعدت فيه الصخرة لاستقبال الصليب، أبقي مولانا مكتوفاً، واحتفظ به في سجن كان موجوداً هناك بين الحقول، ولقد أخذ هذا المكان شكل بيعة، ومازال حتى هذا اليوم يدعى باسم «سجن الرب»، وهو في مواجهة الجمجمة تماماً، في الجانب اليساري المقبب من الكنيسة، وعلى كل حال، لآخرين مواقف أخرى حول هذا المكان، حسبما سمعت في تلك البقعة.

وبعد هذا، وفي موقع الجمجمة جرد الجنود الرومان الرب من مئزره، وذلك بناء على أوامر بيلاطس وعلى تحريض من اليهود، وأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشربه، وربطوه إلى الصليب، وبينما كان يسوع يعاني الآلام فوق هذا الصليب، استقبل صديقه يوحنا— بناء على أوامره— أمه ووضعها تحت رعايته، وذلك حتى تتمكن عذراء من رعاية أخرى، لأن يسوعاً قال لأمه: «انتبهي أيتها المرأة لابنك»، وهناك خلاف حول تفسير هذا، فبعضهم يقول مع يوحنا، وبعضهم يقول معه هو نفسه، ومع هذا فقد قال:«إنني أعاني من هذا منذ طفولتي، التي جاءت بسبب أمومتك، ثم إنني لم أمتلك من خلالها القدرة على صنع معجزات»، في حين قال في مكان آخر، أي في العرس في قانا الجليل:«أيتها المرأة ما الذي يمكنني أن أفعل معك»؟، فهكذا قد تكلم إلى أمه، ثم قال ليوحنا:«انتبه لأمك»، يعني في مسائل الخدمات العائلية والعناية.

وفي الجمجمة، بينما كان الضحية يقدم للعالم أجمع وهو يعاني على الصليب، وعد بثوب من الخلود اللص الذي صلب على يمينه وسأل الغفران، وفيما هو معلق على الصليب، طُعن برمح، وتدفق منه دم مع ماء، وسببت نقاط من هذا استرداد يوجينيوس لبصره(١)، ويوجينيوس

١ —تبعاً للتقاليد كان يوجينيوس أعمى أو بعين واحدة، لكن عندما أصابت بعض نقاط الدم والماء عينيه استرد بصره، وتحول عن دينه.

هو الذي طعنه صدوراً عن شعوره بالشفقة نحوه، وإقراراً، أي أن تقول أنه بفعله ذلك لن يعيش يسوع مدة أطول تحت العذاب، وفيما كان ربنا يموت على الصليب، ويسلم الروح بإرادته، إنهارت ستارة الهيكل من الأعلى إلى الأسفل، وانشطرت الصخرة التي كان الصليب مثبتاً عليها،، من وسطها، وذلك في المكان الذي لامسه دمه، ومكّن هذا التصدع الدم من الانسياب نحو الأسفل، حيث يقال بأن آدم كان مدفوناً هناك تحتها، وبذلك يكون آدم قد تعمد بدم المسيح، وقد قيل إنه تخليداً لهذا، ترسم دوما الجمجمة في أسفل الصليب، لكن هذا التعميد لآدم بدم المسيح لايعني أكثر من أن آدم قد أُنقذ بدم المسيح ذلك أن الكتابات المقدسة تروي لنا أنه قد دفن في الخليل، وبالحري إنه الموت والدمار هو الذي جُسد بصورة وجه الانسان المرعب، الذي اعتيد، على رسمه تحت قدمي المصلوب، لأن مولانا قد قال:« أيها الموت، انني سوف أكون موتك»، يعني دمارك. ومكان الجمجمة موجود على جانبك الأيمن وأنت داخل إلى الكنيسة الأكبر، وفي الجزء الأعلى منها شق الصخرة المشهور، وتجري عبادة هذا الشق باحتفاء عظيم، ويعرض بوضوح ليراه حتى في هذه الأيام الزوار، وهذا الجزء العلوي مزين بشكل جميل بوساطة الفسيفساء الأكثر أناقة، التي تمثل مشهد آلام المسيح ودفنه، مع نصوص من النبوءات التي فيها شهادة حول الحادثة.

ولاحظ في ذلك المكان نفسه، سواء أكان الصليب مثبتاً حول الثلمة التي هي ظاهرة مرئية حتى هذا اليوم، والتي تُرمى فيها تقدمات المؤمنين، أو في المكان الذي يوجد فيه صدع شاقولي داخل صخرة مستديرة، وهو أيضاً مرئي، حيث يعلن بعضهم أن هذا هو المكان، وبالفعل إن هذا المكان زيادة على ذلك واضح أنه يتماشى أكثر مع شكل الأرض وجريان الدم من طرفه الأيمن في الثلمة الموجودة في الصخرة، ويحكى أن وجه مولانا عندما كان معلقاً على الصليب، كان

دوماً ملتفياً نحو الشرق بحكم الضرورة، وبسبب وضعه.

وإلى جانب هذا المكان في الجزء الأعلى باتجاه اليمين يوجد مذبح مكرس على شرف آلام مولانا، وتلقى هذا المكان كله اسمه من الآلام نفسها، ويحتوي القسم السفلي من الجمجمة نفسها مذبحاً، وهو يدعى باسم بيعة الدم المقدس، لأنه يحكى بأن دم الرب قد جرى خلال الثلمة الموجودة في الصخرة إلى المكان المعلم في هذه الأيام عند ظهر المذبح المتقدم الذكر، وقد حدث الجريان بسبب نوع من التصدع في الصخرة، وهناك جرى تعليق مصباح يتقد دوماً، ومكتوب على المدخل الخارجي للجمجمة الأبيات التالية:

«أحضر مولانا إلى هنا، جرت خيانته، وصلب وغسل،

ولهذا إن هذه الجمجمة الشهيرة أرض مقدسة، لأنه من المؤكد

أن دماء يسوع التي سفكت وسالت فوق هذه الرابية سوف تنقذنا

وتنجينا، وتحمينا، ولسوف تغسل ذنوبنا وتمحوها».

الفصل الحادي عشر

في وسط شرفة الكهنة، ليس بعيداً عن الجمجمة، وفي بقعة صنعت لتأخذ شكل مذبح بوساطة ألواح واقفة من الرخام مدعومة بحاجز مفتوح من الحديد له شكل صليب، وتحت ألواح الرخام هذه دوائر صغيرة على البلاط، يقولون إنها علامة على مركز الأرض، وذلك تبعاً لما جاء في النص الذي يقول: «صنع خلاصه في وسط الأرض»، ويقال بأن الرب قد ظهر في هذا المكان نفسه لمريم المجدلية المباركة، وكان هذا بعد قيامته، وهذا المكان مبجل جداً، وفيه مصباح معلق في داخله، ويذهب بعضهم إلى القول بأن يوسف (النجار) قد حصل على جسد يسوع من بيلاطس لأجل دفنه، وكان ذلك في اليوم نفسه، أي في اليوم السادس

من الاسبوع، فلقد أخذ جسده من على الصليب وغسله بتبجيل، ودهنه بدهن ثمين وبعطر، ولفه بقطعة نظيفة من قماش الكتان، ودفنه في مكان ليس بعيداً كثيراً، وكان ذلك في حديقته، في القبر الجديد الذي نحته لنفسه في الصخر، ونزل من هناك إلى رابية لتحرير الرجل، وفي هذا المكان نفسه قام الرب حقاً من الموت، وظهر هناك ملاك الرب إلى النساء المقدسات، عندما انزاحت الأحجار بعيداً، عن وجه الضريح، وأخبرهن أن يسوع قد قام حقيقة من الموت قائلاً: «اذهبن وأخبرن أخواني» وقال ثانية: «أخبرن حواريه وبطرس».

وفي اليوم نفسه، وبعدما مضت سحابة النهار، اختفى المسيح تحت مظهر رجل غريب، وظهر لاثنين من حواريه، وهما يسيران وقد استبد بهما الحزن بسبب موته، وذلك على الطريق إلى نيقوبولس، أي عمواس (الأصح: قالونية) وهي بلدة على مسافة ستة أميال من القدس باتجاه الغرب، حيث استقبل من قبلهما كضيف لهما، وقد تعرفوا إليه بكسره للخبز، لكنه مالبث أن اختفى على الفور، وظهر بعد ذلك لجميع الحواريين، باستثناء توما، وكان ذلك على جبل صهيون، عندما كانت الأبواب مغلقة، قائلاً:«سلام لكم»، زد على هذا لقد ظهر على الجبل نفسه بعد مضي ثمانية أيام إلى توما وإلى بقية الحواريين، وقدم له جراحه ليشعر بها، وبناء عليه قال توما: «مولاي وربي»، وأعمال الظهور هذه مرئية على صورة، على أنها حدثت في مكان ما على جبل صهيون، أي أن نقول في قبو الكنيسة الكبرى، وهناك في الصورة تمييز في تقديم كل حادثة وعرضها، وفي هذا المكان رسم ربنا أيضاً وهو يغسل أقدام حواريه، وأظهر يسوع نفسه بعد القيامة ثلاث مرات أيضاً إلى حواريه إلى جانب بحيرة طبرية وفوقها، وكذلك في أماكن أخرى إلى جانب هذه الأماكن، وذلك من أجل أن يبرهن أنه قد قام من الموت، وأننا سوف نقوم فيما بعد.

الفصل الثاني عشر

والآبدة الحاوية للضريح المقدس لربنا دائرية تقريباً في شكلها، ومزينة في الداخل بأشكال فسيفسائية، ويدخل إليها من الشرق من خلال باب صغير، يوجد أمامه غرفة معاكسة ذات شكل رباعي تقريباً، مع بابين، يدخل من أحدهما الأشخاص الذين دخلوا إلى الآبدة، وسمح لهم بالدخول إلى الضريح، ويمر من خلال الأخرى المغادرون، ويسكن في هذه الغرفة المعاكسة حرس الضريح، وهناك فيها باب ثالث يؤدي إلى الشرفة، وهناك خارج هذه الآبدة نفسها، أن تقول عند رأس الضريح، يوجد مذبح، قد بني فوقه نوع من أنواع المظلات المربعة الشكل، وجدران هذه المظلة الثلاثة مصنوعة من الحديد الذي أخذ شكل صلبان متداخلة، ويدعى هذا المذبح باسم مذبح الضريح المقدس، وللآبدة قبة فوقها مثل الكأس، الجزء العلوي منها مغطى بالفضة، وهذه القبة شاهقة الارتفاع في الفضاء المفتوح المتجه نحو السماء، وهذا جعل من البناء الذي قامت فوقه بناء كبيراً، وهو بناء أخذ شكلاً مستديراً، لأنه قام على أرض ذات خطة دائرية، مع وجود فسحة واسعة حول الآبدة (أي آبدة الضريح المقدس)، ويوجد في نهايتها جدار متواصل مزين بصور تمثل مختلف القديسين على مستوى واسعاً، وهو مضاء بعدد كبير من المصابيح، ويوجد في الإطار الضيق لهذا البناء الواسع ثمانية أعمدة مستديرة من الرخام، التي لها ثماني قواعد مربعة، مزينة من الخارج بالعدد نفسه من الألواح الرخامية، وهي موضوعة جميعها حول (النقطة المركزية)، وتدعم مجازاً تحت السقف الذي كما قلنا هو مفتوح في الوسط.

وفي الأسفل أبيات شعر متنوعة، يمكن رؤيتها في أماكن مختلفة،وقد كتب فوق اسكفة الضريح المقدس:

«لماذا أيتها المرأة تبكين، ولماذا تجثين أمام الذي يبتغي الموت؟

لاتلمسيني، انتبهي أنني وأنا حي جدير بأن أعبد».

وكتب فوق اسكفة المدخل الداخلي لضريح الرب:

«يشهد المكان والحارس على قيامة المسيح،

كذلك القماش الكتاني، والملاك، والفداء».

وكتب في الداخل حيث كان الرب قد مددّ:

«أنزل جسد الرب من على الصليب وسط الدموع من قبل أصدقاء،

لقد تحمل الآلام من أجلنا، الذي يلبس التاج الآن»

وكتب في الداخل على مقربة من ضريح الرب:

«بالعطر مدهون هذا القبر الذي رقد المسيح فيه،

وبالفضيلة يمكن للاستقامة أن ترتفع إلى السماء،

الانسان مسرور، الأرواح تحركت، وجهنم كلها تزمجر،

لأن ذنب حواء ألغاه قدوم المسيح»

وكتب في المكان نفسه، لكن في الوسط:

«هنا جرى تمديد المسيح في داخل هذا الضريح الصخري

ولقد فتح دفنه باب السماء للفانين»

ولقد قلنا أن الأعمدة التي عددناها من قبل قد صفت على شكل دائرة، لكن الآن على الجانب الشرقي اختلف عددها وصفها وترتيبها، وذلك بسبب الكنيسة الجديدة التي تبنى الآن عليهم، والتي مدخلها الآن قائم عند تلك النقطة، ويحتوي هذا المبنى الجديد، والذي أضيف حديثاً على شرفة واسعة للكهنة النظاميين، وحرم واسع فيه مذبح مرتفع،

مكرس على شرف القيامة المقدسة، وذلك حسبما هو مشاهد من الصورة المصنوعة من الفسيفساء الموضوعة فوقه، لأن هذه الصورة تحتوي على صورة المسيح أثناء القيامة وقد خرق أبواب جهنم، وأخرج منها أبانا آدم القديم، وخارج حرم هذا المذبح، وداخل الإطار المغلق للبناء فسحة واسعة بما فيه الكفاية من جميع الاتجاهات، وذلك خلال كل من هذه الكنيسة الجديدة، وكذلك البناء القديم القائم من حول الآبدة المتقدمة الذكر، وذلك حتى تكون موائمة من أجل المسيرات التي تجري ليل كل أحد من الفصح حتى عشية العشاء الأخير، وتتجه هذه المسيرات إلى الضريح المقدس، وهي تردد نشيد «قام المسيح»، وقد نقش نص هذا النشيد على الإفريز الخارجي الأقصى للآبدة بأحرف من فضة، وعندما كان يجري ترداد هذا النشيد وغنائه، يبدأ قادة الكورس يغنون على الفور قائلين: « لكن في المساء»الخ، وذلك مع مزمور: «تمجد روحي الرب» الخ، مع المجمل المتعلق بالقيامة، الذي نصه: «الجبار والسرمدي» الخ، مع استهلال بشطر البيت التالي: «قام الرب من هذا الضريح»، ويحتفل بالطريقة نفسها بقداس القيامة، في كل أحد، خلال هذه الآونة.

الفصل الثالث عشر

وعند رأس هذه الكنيسة الجديدة نفسها، بإتجاه الشرق، وإلى جانب دير الرهبان، مكان عميق جداً، على شكل قبو واسع جداً، يحكى أن الامبراطورة هيلانة (حنة) وجدت فيه صليب الرب، ويحتوي هذا المكان على مذبح بني على شرف هيلانة المذكورة، وقد حملت هذه الامبراطورة معها إلى القسطنطينية الجزء الأكبر من الخشبة المقدسة، لكن البقية تركت في القدس، وقد حفظت بعناية وتبجيل، في مكان محدد، في قسم آخر من الكنيسة المواجهة للجمجمة.

وصحيح أن هذا المكان قد تكرس وتقدس منذ زمن طويل بدم المسيح الذي سفك فيه، لقد أعيد تكريسه في الزمن الحالي من قبل

الكهنة المبجلين، في يوم ١٥ — تموز، وتخليداً لهذه الحقيقة كتبت أبيات الشعر التالية تحت عمل مذهب، وهي تحمل شهادة دائمة :

«تقدس هذا المكان من قبل بدم المسيح،

وتكريسنا له لايمكن أن يجعله أكثر قداسة

وتاريخ تكريس هذه الأبنية حول هذه الصخرة

هو الخامس عشر من تموز»

وكانت القدس قد جرى تحريرها من قبل الجيش المسيحي في مثل هذا اليوم نفسه للشهر نفسه، وذلك بعدما بقيت في الأسر تحت حكم المسلمين من مختلف الأنواع، واحتفاء بذكرى هذه التحرير يحتفلون في هذا اليوم، وذلك بعد تجديد التكريس، ويكون ذلك على شكل قداس ديني، ويغنى في القداس الأول: «Jerusalem Laetare »ويغنى في ذروة قداس التكريس: «Terriblls estloeus».

وجرى في اليوم نفسه أيضاً تكريس أربعة مذابح في الكنيسة نفسها، وهي: المذبح العالي، والمذبح العلوي في الجمجمة، ومذبحين في الجناح المقابل من الكنيسة، وقد كرس أحدهما تشريفاً للقديس بطرس، وكرس الآخر على شرف القديس ستيفن رائد الشهداء.

ويقومون في اليوم التالي أثناء تقديم المساعدات وخلال الصلوات بذكر مهيب لجميع المؤمنين الموتى، وبشكل خاص الذين سقطوا بمناسبة اقتحام القدس، وهم الذين مكان دفنهم مشهور جداً، وهو القائم قرب الباب الذهبي، وتصادف بعد ثلاثة أيام ذكرى الدوق النبيل غودفري، وهو صاحب الذكرى الطيبة، فهو قد كان مقدم وقائد تلك الحملة المقدسة، وقد ولد من أسرة ألمانية، وتجري مراعاة ذكراه بشكل مهيب من قبل المدينة، بتقديم مساعدات وافرة في الكنيسة الكبيرة، وفقاً

لما كان قد نظمه أثناء حياته.

لكنه يكرم في هذه المدينة بهذه الطريقة لشخصه، مع هذا إن الاستيلاء على المدينة لايعزى فضله إليه مع ألمانه، الذين لم يكن نصيبهم صغيراً في الجهد والتعب في تلك الحملة، بل إنه يعزى إلى الفرنسيين وحدهم، ولهذا استخف بعضهم بأمتنا ولم يعترفوا بأنهم شوهوا ما نقش على قبر ويغر Wigger (أوويكر Wicker صاحب سوابيا) الشهير، الذي قام بأعمال رائعة كثيرة، لأنهم ما كان بامكانهم إنكار أنه كان ألمانيا، ومن ثم كتبوا نقشا أفاد بأن القبر يعود إلى فارس فرنسي أو آخر، وهذا يمكن رؤيته في هذه الأيام، لأن تابوته مرئي، وما زال موجوداً في زاوية قائمة بين الكنيسة الكبيرة، وبيعة القديس يوحنا المعمدان، وقد حذف اسمه وألقي جانباً وكتب اسم آخر هناك، وكبرهان وكمثل على النكران الذي عومل به شعبنا، ومدحاً للفرنسيين، من الممكن قراءة النقش التالي على الطرف الخارجي للآبدة:

«ألف سنة ومائة سنة، إلاّسنة،

منذ أن حملت مريم المباركة بابنها الرائع،

عندما أشرقت شمس الخامس عشر من تموز،

نيلت القدس بقوى الفرنجة»

وجواباً لهذا كتبت:

«ليس الفرنجة، بل المحاربون الألمان الأعظم شجاعة،

أنقذوا القدس وحرروها من نير الكفرة،

كان ويغر ألمانيا،وهذا ما يعرفه كل فرنجي،

وألمانيا أيضا كان غونترام وكذلك الدوق غودفري،

ومن السهل البرهنة على أن كلماتي صحيحة».

وعلى كل حال بما أن الدوق غودفري وأخاه بلدوين الذي اتخذ ملكاً في القدس من بعده، كانا من رجال بلادنا، ثم بما أن قلة من شعبنا بقيوا هناك معهما، وعادت أعداد كبيرة من الآخرين بسرعة كبيرة إلى بلادها الأصلية صدوراً عن شدة شوقها إليها، وقعت القدس في أيدي أبناء الأمم الأخرى، هذا ومعروف أن الدوق غودفري رفض التاج من باب التواضع، ثم إن أبناء الأمم الأخرى الذين آلت القدس إليهم هم من: الفرنسيين، واللوريين، والنورمانديين، والبروفناساليين والأوفرانتيين، والايطاليين، والاسبانيين، والبرغنديين، الذين أسهموا في الحملة الصليبية (الأولى)، ومع هذا لم يتركوا في المدينة ولاحتى جزئاً صغيراً في أصغر شارع، وعزلوه جانباً لصالح الألمان، وذلك بسبب أن الألمان أنفسهم لم يهتموا بهذه المسألة، ولم تكن لديهم نية بالبقاء هناك، ولهذا لم تذكر أسماؤهم قط، وعزي فخار تخليص المدينة المقدسة إلى الفرنجة وحدهم، وهؤلاء الفرنجة مع أبناء الأمم الأخرى المتقدمة الذكر، يسيطرون في هذه الأيام على السلطة ويتصرفون بشؤون الحكم في القدس والمنطقة المجاورة، وفي الحقيقة كان من الممكن لهذه المنطقة المسيحية أن تمدّ حدوها منذ وقت طويل مضى إلى ماوراء النيل نحو الجنوب، وإلى ماوراء دمشق نحو الشمال، لو كان فيها عدداً كبيراً من الألمان كما هو الأمر في المقاطعات الأخرى، وعلى كل حال دعونا الآن نتخلى عن هذه الإعتبارات، ومن ثم العودة إلى موضوعنا المحدد.

الفصل الرابع عشر

ويوجد على جبل الزيتون مكان صعود الرب، وهو معلم في وسط كنيسة قد بنيت منذ زمن طويل فوق البقعة، وهناك فتحة في سقف هذه الكنيسة من أعلاها، وحمل من هذا المكان وسط الغمام إلى السماء، في وقت وقفت فيه أمه وحواريوه وأناس آخرون من الجليل، ينظرون لصعوده

بدهشة، وكان من قبل قد أمر حواريه بعدم مغادرة القدس قبل أن يتسلموا من الآب روح القدس الموعودة، والاطمئنان، حتى يستكملوا سكون أنفسهم، وحدث هذا في اليوم العاشر بعد صعود الرب، وفي اليوم الخامس عشر إثر قيامته، أي في يوم عيد الحصاد، ووقتها كان الحواريون مقيمون في احدى غرف المبنى المتقدم الذكر، فوق جبل صهيون، وهو المكان الذي يقال بأن ربنا قد تعشى فيه (العشاء الأخير)، وكانوا أثناء اقامتهم ينتظرون تنفيذ الوعد، وهذا كله مرئي حتى هذا اليوم في المكان نفسه، في صورة فسيفسائية موجودة في داخل قبة حرم الكنيسة المتقدمة الذكر، ففي هذه اللوحة مثلما رسم في الصورة، الحواريين الاثني عشر مع صورهم الشخصية، وروح القدس نازلة فوق رأس كل واحد منهم على شكل ألسنة من اللهب، مع النقش التالي: «فجأة جاء صوت من السماء»، الخ.

وفي الكنيسة نفسها، على جهتك اليمنى وأنت داخل إليها، هنالك مكان يدعى مذبحاً، يتألف من ألواح ملمعة من الرخام، مصنوعة على شكل قبة، قائمة على البقعة التي يقال أسلمت عليها مريم المباركة الروح، وغادرت هذا العالم العالي، وهناك أيضاً ابنها، ربنا يسوع المسيح مثلاً على صورة على الجدار المقابل، وهو يتسلم روحها بحضور حواريه، ويوجد حول المبنى الذي شيد فوق هذا المكان النقش التالي: «حملت الأم المقدسة للرب ممجدة فوق تراتيل الملائكة».

الفصل الخامس عشر

وبعدما فرغنا من رؤية هذه الأشياء، ووصفنا بشكل رئيسي الأماكن التي وقعت فيها، ووصفنا أيضاً الأماكن المجاورة لها، دعونا نعود إلى مدينة القدس المقدسة نفسها، لنتولى وصف الأماكن المقدسة الجديدة، والأماكن المبجلة القديمة، التي أعيد إعمارها حديثاً وكرست لخدمة الديانة.

وبالمناسبة لنلاحظ أن يهوذا تسلم في هذه المدينة ثلاثين قطعة من الفضة ثمناً لخيانته لربنا، وبهذا المبلغ شري الحقل المسمى أكلداما —أي حقل الدم— وعزل ليكون مدفناً للغرباء حتى هذا اليوم، وهذا الحقل قائم على الطرف الأيمن من جبل صهيون على طول الطريق الذي يقود إلى بيت لحم.

وعبر هذا الحقل، وملاصق له يقوم جبل جيون Gion ، الذي عليه تسلم سليمان التاج الملكي، كما جرت العادة بمسح الملوك الآخرين على ذلك الجبل.

ويلاحظ أن ربنا أقام فتاة من الموت في وسط القدس، كما وصنع عدداً من المعجزات فيها، وعبر كنيسة الضريح المقدس، التي وصفناها أعلاه، وفي الطرف المواجه (للطريق) المتجه نحو الجنوب، هناك كنيسة جميلة بنيت تشريفاً ليوحنا المعمدان، ومضاف إليها مشفى فيه غرف مختلفة تحتوي في داخلها على حشد كبير من الناس المرضى، من النساء والرجال، الذين يلقون العناية فيها حتى يستردوا صحتهم يومياً مقابل نفقات عالية جداً، وسمعت عندما كنت هناك وعلمت أن عدد هؤلاء المرضى قد بلغ الألفين، يموت منهم أحياناً خلال يوم واحد وليلة أكثر من خمسين، وفي الوقت نفسه يدخل إليها ويصل أعداد جديدة، وماذا يمكنني أن أقول أكثر؟ فهذا المشفى يزود بالأطعمة أعداداً كبيرة من الناس في الخارج بقدر الذين هم في الداخل، وذلك إلى جانب مالايحصى عدّه من أعمال الاحسان التي تقدم يومياً للناس الفقراء، الذين يتسولون طلباً للخبز من باب إلى باب، ولايسكنون في بيت، وعلى هذا من غير الممكن جمع المبلغ الاجمالي لنفقاته وحصره حتى من قبل مديريه والعاملين فيه. وبالاضافة إلى هذه الأموال التي تنفق على المرضى وعلى الناس الفقراء، تقوم دار رهبنة هذا المشفى بالانفاق، في قلاعها العديدة، على عدد كبير من الناس، الذين تدربوا على جميع أنواع

التمارين العسكرية، من أجل الدفاع عن أراضي المسيحيين ضد غزوات المسلمين، وإلى جانب كنيسة القديس يوحنا هذه، يوجد دير للراهبات بني على شرف مريم المباركة، ورأس هذا الدير ملاصق تقريباً لأبنية الكنيسة المتقدمة الذكر، وهو يسمى: دير القديسة مريم الكبير، وليس بعيداً عن هناك، وعلى الطرف نفسه من الشارع نفسه، هناك ديرللرهبان، بني أيضاً على شرف مريم المباركة، ويدعى أيضاً باسم دير القديسة مريم للاتين، ومحفوظ فيه وسط تبجيل عظيم رأس القديس فيليب الرسول، وهو أيضاً معروض للذين يأتون ليتعبدوه، ويطلبون رؤيته.

وفي الشارع الذي يقود من برج داود نزولاً من التلة نحو الهيكل، وعلى الطرف الأيمن، على مقربة من برج داود أيضاً هناك دير للرهبان الأرمن، بني على شرف القديس سابا، وهو راعي الدير الأعظم احتراماً، لأنه عندما كان مايزال حياً، صنعت له العذراء مريم المباركة كثيراً من المعجزات، وفي هذه المنطقة نفسها، وليس بعيداً، وفي أسفل النزول خلف شارع آخر، هناك كنيسة كبيرة بنيت على شرف القديس جيمس الكبير، وهي مسكونة من قبل الرهبان الأرمن، ولديهم في المكان نفسه مشفى واسعاً لاستقبال الفقراء من شعبهم، وفي هذا المشفى محفوظ وسط تبجيل عظيم رأس ذلك الرسول، لأنه قتل صبراً من قبل هيرود، وقد وضع جسده من قبل تلاميذه على ظهر سفينة عند يافا، وقد حملته إلى غاليشيا، غير أن رأسه بقي في فلسطين، وهذا الرأس معروض في هذه الأيام في هذه الكنيسة للحجاج.

وأنت نازل في الشارع نفسه، وإلى الباب الذي يؤدي إلى الهيكل، وعلى الطرف الأيمن، هناك نوع من أنواع الممرات، خلال ساباط طويل، يوجد في شارعه مشفى وكنيسة بنيت حديثاً تشريفاً للقديسة مريم، وهي تعرف باسم بيت الرهبان الألمان، ومن النادر أن يتلقى هذا البيت أية مساعدات من الذين يتكلمون لغة أخرى غير الألمانية.

الفصل السادس عشر

ويوجد في الشارع نفسه، قرب الباب الذي يذهب إلى جبل صهيون، بيعة، بنيت تشريفاً للقديس بطرس، فيها قبو عميق جداً ومظلم، حيث يقال فيه سجن القديس بطرس، وبقي تحت الرقابة المشددة بناء على أوامر مشددة من هيرود، وقد صفد بسلاسل من حديد، وتولى حراسته الجنود من كل من الداخل ومن الخارج، لكن هذا الحرص كله لم يفد شيئاً أمام القدرة الربانية، ففي الليلة نفسها، وبوساطة واحد من الملائكة، اقتيد القديس بطرس من قبل الملاك، وخرج دونما أذى، وذلك بعدما تقطعت سلاسله، وفتحت أبواب السجن، وكذلك أبواب المدينة، وقد قال: «عرفت الآن بشكل مؤكد أن الرب قد أرسل ملاكه»، الخ. وعندمدخل البيعة، كتبت الأبيات الشعرية التالية، شارحة المعجزة التي صنعت هناك:

«قم يابطرس، وخذ رداءك، لقد تحطمت سلاسلك،

قم غادر هذا المكان، فقد غدوت حراً بفضل السماء».

«علمت الآن في الحقيقة، أنني قد تحررت من السجن،

حمداً لحب المسيح لي، ذلك أنه خلصني من الأصفاد».

وفي قبو القيود في هذه الكنيسة، قمت في يوم عيد القديس بطرس بالاحتفال بقداس، مع الدعاء المناسب للاستخدام في ذلك المكان وهو: «أيها الرب الذي سببت اطلاق سراح القديس بطرس من قيوده، ونجيته دونما أذى» الخ، وهذه البيعة بيعة فقيرة، وهي ليست غنية بالأعطيات أو مزينة بالزينة اللائقة بمثل تلك المعجزة العظيمة التي حدثت لرئيس الحواريين، ويدعى الباب الذي يقود نحو جبل صهيون باسم باب

الحديد، وقد فتح عن طواعية للملاك ولبطرس.

وفي مقابل ساحة الهيكل، أي على الجانب الشمالي، قرب الباب الذي يذهب منه الانسان إلى وادي شعفاط، هناك كنيسة واسعة بنيت تشريفاً للقديسة حنة، وفيها يمكن رؤية كيف تمّ بالقدر الرباني وبلاانذار ولادة العذراء المباركة منها ومن يواكيم، وحسبما هو مروي بتفصيل وطول عظيم في حياة القديسة حنة، التي يحتفل بعيدها في تلك الكنيسة في يوم عيد القديس جيمس الكبير، بأبهة عظيمة، فقد كنت أنا شخصياً بين الحضور. وتتم عبادة الرب في هذه الكنيسة، من قبل معهد للراهبات المكرسات، اللائي آمل أن يكن مقبولات، وإذاما غادر الانسان هذه الكنيسة، يجد على طرفه اليساري، على مسافة ليست كبيرة، أسفل زقاق هناك، باب بركة الضأن، أو Piscina Probatica ، ومياه هذه البركة اعتاد ملاك أن يحركها في أوقات محددة أيام يسوع، وكان أي انسان مريض يدخلها بعد تحرك الماء فيها يشفى من أي مرض كان يعاني منه، وقد عرفت باسم «بركة الضأن» Probaton ، بالاغريقية، لأن العادة جرت وقت الأضاحي بغسل الأوعية الداخلية للأضاحي فيها: وفي الحقيقة كان لون الدم أحمر بسبب (دماء) الأضاحي التي نظفت هناك، وأمام بركة الضأن هذه أعاد يسوع إلى الصحة، رجلاً مريضاً، بقوله له: «خذ فراشك واحمله واذهب».

ومن هذا الشارع نفسه، الذي يقود إلى خارج باب شعفاط، وفوقه في الشارع الآخر الذي يتفرع عن هذا الشارع، وعلى الطرف اليمين، صعوداً باتجاه سور المدينة يصل الانسان إلى كنيسة بنيت تشريفاً للقديسة مريم المجدلية، وفيها رهبان يعاقبة، وقد تحدثنا عنها بكل مانعرفه؛ ويمضي الانسان عبر هذا الشارع المتقدم الذكر، مباشرة من باب شعفاط إلى الشارع الذي يؤدي إلى باب القديس ستيفن، ومن هنا (يمضي الانسان) من الاتجاه الشمالي نحو الشوارع الثلاثية، أو بالحري الشوارع الكثيرة

الفروع والتشعبات، التي تحتوي جميع الأشياء التي هي للبيع (الاسواق)، وتمتد حتى واجهة الكنيسة الكبيرة للضريح المقدس، وأقول يوجد في وسط هذا الشارع، قوس حجري قديم عبر الشارع، استراحت تحته مريم العذراء المباركة، مع ابنها المبارك، الذي كان طفلاً رضيعاً، وأنها قد أرضعته هناك، وجرى تخليد ذكرى هذه الحادثة بوساطة صورة، وقد عزل المكان وأغلق بشكل لطيف دون المارة، لأنه مكان مقدس، لكن لم تعمر هناك كنيسة لرعاية المكان وتعبده بالتبجيل اللائق.

ويوجد أيضاً عبر هذا الشارع الذي يقود من باب القديس ستيفن إلى طرف كنيسة الضريح المقدس، وليس بعيداً عن شمال الضريح المقدس، شارع صغير، فيه في كنيسة عائدة للسريان يرقد الجسد المبارك للشهيد المقدس شاريتون Chariton ، وهو محفوظ هناك وسط تبجيل عظيم من قبل الرهبان السريان، وجسده في هذه الأيام كامل تقريباً، وهو محفوظ في داخل تابوت خشبي، يرفع غطاؤه، عندما يعرض أمام الحجاج ليروه. وكان هذا الأب المبارك قد قتل من قبل المسلمين في داخل ديره (قرب تقوع) على ضفاف نهر الأردن، وقتل معه رهبانه، لأنه اعترف باسم المسيح.

الفصل السابع عشر

وخارج باب القدس الذي يتطلع نحو الغرب، وهو الجانب الذي جرى فيه تحرير المدينة من قبل اسرائيل الثاني، سقط رائد الشهداء المبارك ستيفن، بعدما أنهكه الرجم بالحجارة، وقد نقل جسده من هناك إلى كنيسة صهيون، ودفن فيما بين نيقوديموس وجمالئيل، وأبيبون، ثم أعيد دفنه فيما بعد في القسطنطينية، ودفن أخيراً في روما بوساطة القديس لورانس، ولهذا كتب على قبره بيت الشعر التالي:

«أرسلت بيزنطة إلى هنا ضحية صهيون البريء».

وخارج باب القدس— إلى جانب بركة (ماملاّ)— المتجه نحو الجنوب يمكن رؤية الكهف الذي حمل إليه أسد أجساد اثني عشر ألفاً من الشهداء الذين هلكوا على أيدي كسرى، وكان ذلك بناء على أمر الرب القدير، ولهذا أطلق على الكهف اسم «مدفن الأسد».

وعلى ميلين من القدس، وعلى الطريق الذي يقود إلى شكيم، يقوم جبل جبع، في منطقة سبط بنيامين.

وعلى ميل من القدس، على كتف جبل الزيتون، يقع جبل (بطن الهوا) العدوان الملاصق له، لكنه منفصل عنه بوساطة الطريق الذي يقود من شعفاط خلال بيت فاجي إلى بيت عنيا، وهو يدعى باسم جبل «العدوان» (بطن الهوا)، لأن سليمان أقام هناك صنم مولوخ Moloch، وعبده.

وملاصق للقدس تماما، وعلى جانب الهضبة، تحت قصر سليمان، في وادي شعفاط، تقوم بركة سلوان، التي إليها أرسل يسوع الرجل الأعمى، الذي رد إليه بصره، ليغسل عيناه فيها، وذهب وغسل عيناه واسترد بصره، وهكذا فسرت كلمة سلوان بـ «أرسل»، وليس إلى هذا الماء نفسه أرسل نعمان أمير سورية من قبل النبي اليجيا، بل أرسل إلى الأردن، على أمل أنه إذا ما اغتسل فيه ثلاث مرات، يمكن أن يبرأ من جذامه، وقد نظر إليه باستخفاف وقال: «أوليس أبانا وفرفر» —النهران الموجودان في بلاده —«نهران أفضل من هذا»؟ ووافق على كل حال أخيراً على الأخذ بنصحية خادمه، حيث نفذ أمر النبي فشفي، وسلوان تبعاً لتقاليد السريان، ينبع من سيلو، ويسيل ماء سلوان بصمت، لأنه يجري من تحت الأرض، وعلى مقربة من سلوان هناك شجرة بلوطة روجل، التي دفن تحتها إشعيا المقدس.

وقد دفن في وادي شعفاط جيمس المبارك ابن ألفيوس، الذي حسبما

روينا من قبل قد رمي من أعلى الهيكل، وهنـاك بيعة جميلة في هذا الوادي نفسه، فيها برهان على دفنه، وقد كتبت عليها الأبيات التالية:

«هاجم الكفار اليهود ابن ألفيوس

وهو من أجل اسم الرب، وحباً بالموت فعل.

رمي ابن ألفيوس من أعلى الهيكل

وبأيد تقية دفن هنا أخيراً»

وعلى كل حـال نقل رسـول الرب فيما بعـد من هنا إلى القسطنطينيـة. ودفن في وادي شعفاط الملك يهوشافاط تحت هـرم حاد الذروة، ومن هذا الملك نال الوادي اسمه، ومعنى هـذه التسمية هو «وادي الحكم»، وذلك إشـارة الى النص الـذي يقول :«سـوف أجمع معـا جميع الأمم»، وفي هـذا الوادي نفسه الكثير من الكهوف في كل جـزء منه، يعيش فيها رجال دين حياة النساك.

وتعود ملكيـة الوادي بأكمله الى الـدير الذي يقـوم في الجزء الأعلى من الـوادي القائم فـوق نهر قدرون الصغير، وذلك الى جـانب الحديقـة التي غالبـاً ماالتقى فيها ربنـا مع حواريه، ومعـروض في قبو هذا الـدير— في الوقت الحالي— ضريح العـذارء مريم المباركة، الذي سـوف نتحدث عنه بشكل أطول.

الفصل الثامن عشر

في اليوم الذي حدث فيه انتقال جسد العذراء مريم الأعظم مباركة ، حمل هذا الجسد إلى الكنيسة القـائمة في وادي شعفاط، وكان الاثنى عشر حواريا من حـواريي الرب جميعاً حضوراً، وذلك بناء على رغبتهـا، وكانوا هناك حيث دفنت بالتشريف اللائق في وسط القبو، المزين بأعمال رخامية رائعة، ولوحات مرسومة جميلـة جداً بالألوان المختلفة، وضريحها —مع أن

جسدها لم يعد فيه— بهي جداً بسبب لوحاتـه الرخامية، ومايشبه بناء قبة من الذهب والفضة، فبهما مغطاة، وقد نقش عليها مايلي:

«من هنا ومن وادي شعفاط، ممر يؤدي إلى السماء،

كانت العذراء هنا مرة راقدة، وهي الفتاة موضع ثقة الرب،

من بقعة غير محددة، من هنا قامت، ولها فتحت بوابة السماء،

للفقراء المذنبين وللدروب، أضاءت أمهم آمالهم».

وجسدهـا المبارك ليس هناك، بسبب هـو كما أخبرنا، أن القبر عنـدما جرت زيارتـه في اليوم الثامن تماشياً مع العادة العبريـة، ونظر في داخله لم يكن الجسد مـوجود هناك، ومن هـذا نشأ اعتقاد قوي أنـه ليست روحها فقط بـل جسدهـا كذلـك أقيم وسط مجد عظيـم من قبل ابنهـا ورفع إلى السماء،الأمر الذي أشـار إليه جيروم بشيء من الشك، بدلاً مـن التأكيد، وجاء ذلك في رسالـة مطلعها: «أنتما ترغماني يابولا ويايـوستوخيوم»، الخ. وهـذا على كل حال ربما ممكـن، لأننا نعتقـد أن مريم العـذراء المباركـة، وحدهـا —لأنها وجدت جـديرة بحمل خالقهـا— جديـرة بكل تشريف وتطويب، وذلك بـالنسبة لكل من جسدها وكـذلك روحها، وبما أن ابنها حي أبـداً وكلـه قدرة، فقـد كـان راغبـاً وقادراً على فعـل هذا، وضريحهـا مشرف أيضـاً وتجري عبادتـه، لأن هناك بعـض الترابط والتشـابه بمجـده ومكانتـه، والذي يقـدم لضريح ابنها المبـارك. ومن الممكن أن نـرى عند مدخل القبو الصورة التالية مع النقش التالي:

«أيها الوارث للحياة، تعال، واحمد الرب، الذي

حياتنا له، وهو الذي قرر مصيرنا».

ويوجد على الجانب الأيسر صورة جيروم، وهو حامل للنقش التالي:

(هذا النقش مفقود في جميع المخطوطات)

والآن ضريحها معروض للمشاهدة في هذه الأيام في وادي شعفاط، ولقد شهدناه أثناء حضورنا، في وسط الوادي، حيث هناك كنيسة بنيت على شرفها، بتزيينات رخامية رائعة، ولقد تأكد من قبل الجميع أنها قد دفنت هناك، ويوجد عند الطرف الأيمن من المدخل إلى هذه الكنيسة تمثال لباسيل المقدس، وهو يحمل هذه الكلمات:

«أشد أعداء أم الرب

يوليان المرتد قد قام

الأول في القوة وفي المكان

من العرق الكافر المتوحش،

وبعزيمة من أم الرب، هو

قد هلك في طغيانه.

المجد دائماً أبداً

إلى الملكة التي نعبدها،

والتي دفنت مرة تحت هذه الأرضية».

وهذه الأماديح وأماديح أخرى كثيرة قيلت بالعذراء، قد وضعت عند مدخل القبو، وفي الداخل على الجدران التي تحيط بالضريح وعلى السقف كتبت النقوش التالية: على الجدار في الجهة اليمنى: «حملت مريم العذراء إلى قصر في الجنة»، الخ. زد على هذا، جاء على وصلة إطار الكنيسة النص التالي: «انتبهي أنت جميلة، يا حبيبتي، انتبهي أنت جميلة، أنت لك عينتي حمامة»، الخ، حتى إلى «ليلك الوادي»، وأضيف إلى هذا: «بنات صهيون قد رأينها»، «من مكان الصدق هذا صعدت العذراء الرائعة إلى السماء، أتمنى عليكم أن تبتهجوا، لأنها صعدت إلى

الأعالي بدون كلام وحكمت إلى الأبد مع المسيح»، وكتب على الجزء الأمامي: «حملت مريم إلى السماء» وعلى الجزء المقابل: «تمجدت أم الرب المقدسة»، الخ، وفي الوسط: «حشود الملائكة واقفة حول مريم المباركة، وهي تنظر إلى العرش، معلنة أنها أخذت طريقها إلى مملكة السماء».

ويوجد عند سفح جبل الزيتون، على الجانب الأقرب إلى المدينة، حيث الآن ضريح العذراء مريم المباركة، يمكن رؤية قرية صغيرة تدعى جيسماني.

الفصل التاسع عشر

بيت لحم الذي يعني اسمها «بيت الخبز» هي مدينة في اليهودية، وهي تعرف أيضاً باسم إفراتا، وهذا ليس بدون سبب، لأنه من زهرة الناصرة تنامت هناك وجاءت ثمرة الحياة، وأعني بذلك من العذراء مريم، جاء ابن الرب الحي، يسوع المسيح، الذي هو خبز الملائكة والحياة بالنسبة لجميع العالم، ويوجد في بيت لحم، في مكان ولادته المزود الذي تمدد فيه الطفل يسوع نفسه، ومن هنا كان قول النبي: «يعرف الثور أصحابه، وتعرف الأتان مزود صاحبها»، وجرى حمل التبن من هذا المزود —أي التبن الذي تمدد عليه الطفل يسوع، وأخذته الامبراطورة هيلانة إلى روما، وهو معروض وسط مظاهر التبجيل في كنيسة القديسة الكبيرة، ومن الممكن أن نقرأ في موضع مهد ربنا البيتين التاليين وقد نقشا داخل عمل فسيفسائي مذهب:

«من محاسن مقدّم الملائكة التي لانظير لها،

حملت العذراء هنا بالرب نفسه»

وإلى بيت لحم جاء الملوك الثلاثة من الشرق يقودهم النجم الجديد، لعبادة الطفل يسوع، ولكي يقدموا احترامهم لملك الملائكة قدموا له الهدايا الرمزية المؤلفة من الذهب والبخور والمر، وفي بيت لحم والمناطق

المجاورة لها، أمر هيرود بقتل الأطفال الأبرياء، ويرقد القسم الأكبر منهم مدفونين في الجانب الجنوبي، على بعد أربعة أميال من بيت لحم وعلى ميلين من تقوعه.

وفي بيت لحم، دون الكنيسة نحو الأسفل، وليس بعيداً عن مزود ربنا، يرقد جسد القديس جيروم، وجسد باولا، وجسد يوستوخيوم، اللذين كتب إليهما جيروم نفسه رسائل، وهما مدفونان مثله في بيت لحم.

وعلى مسافة ميل واحد عن بيت لحم أضاء النجم للرعاة عندما ولد الرب، وظهر ملاك وهو يردد قائلاً: «المجد للرب بالأعالي وعلى الأرض السلام وللناس المسرة».(لوقا: ٢/ ١٤)، وعلى بعد ثلاثة أميال من بيت لحم تقوم تقوعه، وهي بلدة عاموس الذي يرقد مدفوناً هناك، وعلى أربعة أميال من بيت لحم وباتجاه الجنوب تقوم كنيسة القديس شارتون، حيث عندما غادر هو نفسه من هذا العالم هلك رهبانه معه، ذلك أنه كان معلمهم التقي، وكانوا قد تلقوا من قبل انذاراً من الرب، لأنه كان أباً تقياً لهم، وفي الحقيقة كانوا يهيمون حباً به، ولهذا لم يرغبوا بالعيش بعد موته، وفي الكنيسة المتقدمة الذكر يمكن رؤية هياكلهم العظمية في الأوضاع التي كانوا عليها، عندما استبدت بهم آلام الحزن عند موت أباهم، وقد نقلوا منذ أمد إلى القدس.

وعلى مسافة ميل من بيت لحم، وعلى الطريق الذي يقود إلى القدس، تقوم قبة راحيل، وهو المكان الذي توفيت به راحيل، بعد حملها ببنيامين، وقد دفنت هنا من قبل زوجها يعقوب، في قبر وضع يعقوب فوقه اثنتي عشرة صخرة عظيمة، وذلك بمثابة ذكرى ابنائها الاثني عشر، والهرم الذي تشكل من هذه الصخور يمكن رؤيته من قبل الذين يعبرون من هناك.

الفصل العشرون

عندما كان ربنا في التاسعة والعشرين وثلاثة عشر يوماً من عمره —حسبما يروي لنا لوقا— ولدى شروعه بدخول سن الثلاثين، ورغبة منه في وضع نهاية للاختتان، وليجدد الانسان العجوز بالماء المقدس، ذهب إلى الصحراء إلى يوحنا، الذي كان رائده، وتعمد من قبله في نهر الأردن، في مكان يبعد ثلاثة أميال عن أريحا، وهناك سمع صوت الآب يرعد فوقه قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب» الخ؛ وينبع نهر الأردن من نبعين هما: «أر» و «دان»، وهو ينبع عند سفح جبال لبنان، وبعدما يسير لمسافة طويلة يتشعب، ثم تعود مياهه إلى الاندماج قرب جبال جلبوع، وزيادة على ماتقدم، عندما كان المسيح يتعمد، جاء الروح القدس، وحلق فوقه على شكل حمامة، وبذلك أظهر، أنه هو، وليس يوحنا الذي يمتلك قوة تقديس الماء، وقرب البقعة نفسها، أي أن تقول على مسافة ميلين من أريحا، وعلى الجانب الأيسر، توجد الصحراء التي اسمها القرنطل، وعلى رابية صخرية فيها عمل المسيح صيامه الذي دام أربعين يوماً وليلة، وعندما كان جائعاً هناك جاء الشيطان لاغرائه قائلاً: «قل أن تصير هذه الحجارة خبزاً» (متى: ٤/ ٣)، ويقوم على ميلين من القرنطل باتجاه طبرية الجبل العظيم الارتفاع، الذي حاول الشيطان فيه ثانية إغراء المسيح، حيث أراه جميع ممالك الدنيا وقال له: «كل هذا سوف أعطيه لك»، الخ.

وعلى مقربة من القرنطل نهر صغير يصدر عن النبع الذي شفى فيه ألسيوس المقدس المرأة العاقر، وجعله حلواً بدلاً من المرارة، وقبل أريحا، وعلى طرف الطريق كان هناك متسول أعمى، وعندما سمع أن يسوع كان ماراً عبر الطريق صرخ: «يايسوع، أنت يابن داود، ارحمني»، وكان جديراً أن يتلقى النور منه في كل من الخارج ومن الداخل، وعلى مسافة ثلاثة عشر ميلاً من القدس باتجاه الشمال تقع أريحا، وهي مدينة راحاب العاهرة، التي استضافت أربعة من الجواسيس من بني اسرائيل، وأنقذت حيواتهم، وأخفتهم وأطعمتهم، وهي أيضاً مدينة زاخايوس (زكريا)

الـذي عندمـا سمع بـأن يسوع كـان يسير في تلك الأطـراف، ولأنه كـان قصير القامة فقد تسلق شجرة جميـز، حتى يمكنه أن يراه، ويتحدث إليه، حـاكماً على نفسه وسـائلاً مـن أجل العفـو، وهي أيضـاً مـدينة الأطفـال الذين سخـروا من الياس المقدس، عندمـا كان ذاهباً إلى القدس، وقـالوا له: «ابتعد فأنت أصلع الرأس»، الخ.

وعلى ثلاثـة أميال من أريحا، وعلى ميلين من الأردن تقـوم بيت حجلة، التي فسر اسمهـا على أنـه يعنـي مكـان الـدائرة، لأنـه في هـذا المكـان، وحسب عـادات الندب، عمـل أبناء يعقـوب والناس معهم دائرة حـول قبره، عندما جلبوه من مصر إلى الخليل.

وعين الجدي، في منطقة سبط يهوذا، حيث أخفـى داود نفسه في أيلون Aulon ، أي أن تقول في سهل منطقـة أريحا، وعلى كل حال هناك قـرية يهوديـة واسعـة إلى جوار البحـر الميـت اسمها عين الجدي، وفيهـا ينمـو شجـر البلسم، ومنهـا يصـدر، وهذا هـو السبـب الذي دعـا إلى إطـلاق اصطلاح عين جدي على الكروم.

الفصل الحادي والعشرون

وعلى الجانب الآخـر من القدس، وبـاتجاه الجنوب قليـلاً، تقوم مـدينة الخليل، التي كانت في يوم من الايـام المدينة الرئيسية في فلسطين، ومكان إقامة العمالقـة، وهي على مسيرة يوم واحد من القدس، وقـد أعدت هذه المدينة ونظمت لتكـون مدينة كهنة ومدينـة لاجئين في منطقة سبط يهوذا، ففي تلك المنطقـة صنع الخالق أبـانا العـام آدم من طين، ونفخ فيـه روح الحيـاة، وتـدعـى الخليل بـاسم «قـريـة — أربعـة» حسبما ورد بـاللغـة السريانية، ومعنى هـذا وتفسيره «مدينة الأربعة» فمعنى كلمة «قـرية» هو «مدينة» و (Arba) «أربعة» وسبب هـذا أن أربعة من الآباء «البطـارقة» قـد دفنـوا في الكهـف المزدوج الموجـود هنـاك، وهـم: آدم وإبـراهيـم،

واسحق، ويعقوب، مع زوجاتهم، أمهاتنا: حواء، وسارة، ورفقة، وليا، وتقوم الخليل الآن على مقربة من وادي الدموع، وعرف وادي الدموع بهذا الاسم، لأن آدم ناح هناك على ابنه هابيل لمدة مائة سنة، وحدث هناك أيضاً فيما بعد، أن تعرف — بناء أمر من ملاك— على زوجته، التي حملت منه فيما بعد ابنه شيث، الذي انحدرت منه أسرة المسيح، وعلى مسافة ميلين من الخليل يقوم ضريح لوط، ابن أخى ابراهيم، وفي الخليل حقل، التربة فيه حمراء، ويحفر هذا من قبل السكان، وتؤكل تربته من قبل السكان ويصدرونها إلى مصر، ويبيعونها هناك بثمن مرتفع، وبأمر من الرب، نجد هذا الحقل الذي يحفر عميقاً وعريضاً، يتجدد ويعود كما كان دوما في نهاية السنة.

وعلى مقربة من الخليل يوجد جبل ممرا، الذي عند سفحه توجد شجرة تدعى «دربسDirps أي البلوطة المقدسة والخضراء دوما، أو البلوطة فقط، وهي التي سكن ابراهيم تحتها لوقت طويل، وتحتها رأى الملائكة الثلاثة، وقد تعبّد واحداً منهم، وأكرم وفادتهم بقدر ما أمكنه، وطمأنهم وأكل معهم.

وأوضح جيروم أن البلوطة المتقدمة الذكر ظلت موجودة حتى أيام الامبراطور ثيوديوس، ومنها تفرعت البلوطة الموجودة الآن، وهي مرئية في هذه الأيام ومحط رعاية شعب ذلك المكان وعنايته، ومع أنها مازالت تمتلك سمات الإبراء كما تبرهن من خلال حقيقة أنه إذا ما قام فارس وحمل قطعة منها معه، فإن حصانه لن يكبو أبداً، وكانت الخليل أول مكان وصل إليه يشوع وكالب، ومعهما رفاقهما العشرة، وحكم داود في الخليل لمدة سبع سنوات ونصف السنة.

الفصل الثاني والعشرون

وعلى بعد عشرة أميال من الخليل، وباتجاه الشرق تقوم بحيرة اسفلت التي تدعى أيضاً باسم «البحر الميت»، وهو بالحقيقة بحر ميت، لأنه لايحتوي على شيء حي، ويسمى أيضاً«بحر الشيطان»، لأن المدن الأربعة غير السعيدة بأعمالها غرقت فيه، وهي: سدوم، وعموره، ودومه، وساعور، لأنها ثابرت على اقتراف شرورها، فأحرقت بالنار، وبنار الكبريت، ومن ثم أغرقت في تلك البحيرة.

وعلى قرب من البحيرة، على منحدرات اليهودية تقوم سيجور، التي عرفت أيضاً باسم بلع، وزرع، وهي المدينة الخامسة من هذه المدن، وهي التي حفظت من الغرق بسبب صلاة لوط، ومن الممكن رؤيتها في هذه الأيام، وهي تعرف أيضاً باسم «قلعة النخيل»، وكانت زوجة لوط قد حولت إلى عمود من ملح، وعلى الطريق عندما يخرج الانسان من سيجور، يمكن أن يراها باقية ومن الممكن مشاهدتها، وعلى شواطىء البحيرة المتقدمة الذكر هناك الكثير من الشب، والقار، ويتولى جمعه السكان المحليون، ويستخرجون من البحر الحمر، أو الفحم القاري الذي يعرف باسم الحمر اليهودي، وهو ثمين يستخدم لأغراض كثيرة، وعلى كل حال تدعى سيجور من قبل سكانها باسم بلدة النخيل.

وليس بعيداً عن بحيرة اسفلت، عندما يذهب الانسان هبوطاً نحو العربية يوجد كهف الكرك، في جبل المآبيين، ففيه قاد بلك بن باعور النبي بلعام، علّه يقوم بلعن بني اسرائيل، ويدعى هذا الكهف بـ «الانقطاع» لأنه قائم وسط شعاب منحدرة، وتفصل بحيرة اسفلت اليهودية عن العربية، وكانت العربية في أيام بني اسرائيل صحراء مهجورة بلا سكان، ومعزولة، لايمكن المرور بها، ولاماء فيها، وأبقاهم الرب هناك لمدة أربعين سنة، وهو يمطر عليهم المن ليأكلوه، ويجعل الماء ينبع من الصخور.

ويوجد في العربية جبل سيناء، الذي بقي موسى عليه لمدة أربعين يوما والعدد نفسه من الليالي بدون أي طعام، وهناك أعطى الرب موسى الشريعة وقد كتبت باصبعه على ألواح من الحجر، ويوجد في العربية وادي موسى، ففيه ضرب الصخرة مرتين، فأرسلت نهرين من الماء من أجل شعب الرب، منهما ما تزال المنطقة كلها تشرب، وفي العربية سار عمود من نار أمام بني اسرائيل في الليل، وأظلتهم غمامة كل يوم، وفي العربية حليم Helim (وادي وسيط، أو وادي غُرُندل) حيث قيست مساحة معسكر بني اسرائيل، وبما أن مكان هذا المعسكر كان في الصحراء، فإنهم عندما خرجوا من البحر الأحمر، وجدوا اثني عشر نبعاً وسبعين شجرة نخيل، ويوجد في العربية أربعين محطة توقف فيها بنو اسرائيل، ويوجد في العربية جبل حوريب، الذي دفن عليه هرون، وفي العربية أيضاً جبل عبريم Abarim، الذي دفن فيه الرب موسى،الذي لايمكن رؤية قبره في أي مكان، وفي العربية هناك الجبل الملكي (مونتريال)، الذي استولى عليه الملك بلدوين، الملك الأول للفرنجة في القدس، وألحقه بالأراضي التي كانت بحوزة المسيحيين، وعمل عليه حصناً قوياً (الشوبك) من أجل أرض داود، وتتصل العربية بأرض أدوم قرب بصرى، وأدوم هي بلاد دمشق، وعلى كل حال أدوم تابعة لسورية، ورأس سورية دمشق.

الفصل الثالث والعشرون

وعلى مسافة أربعة أميال من القدس، وباتجاه الجنوب، تقوم البلدة التي كان زكريا يسكن فيها عندما جاءت مريم أم يسوع، وهي حامل في رحمها بابن الرب، مسرعة لتقديم التحية إلى خالتها إليزابث، حيث كانت وقتها حاملة بابنها يوحنا، الذي يقال بأنه ولد في ذلك المكان.

وعلى ستة أميال من القدس، وباتجاه الجنوب على الطريق الذي يقود إلى الرملة يقوم جبل مودين Modin، الذي جاء منه متيتا Mathath-

ias، أبـو المكابيين، الـذين يـرقدون مـدفونين هنـاك، ومن الممكن رؤيـة قبـورهم هنـاك حتـى هـذا اليوم، وعلى ثمانيـة أميـال مـن مـودين، وعلى الطريق الـذي يقود إلى يافـا، تقوم مدينـة اللد، والتي تعرف أيضـاً باسم ديوبولس، ففيها مدفون جسـد القديس جرجس، وهو معروض هناك على مسافة ميل من الرملة.

وعلى ستـة عشر ميلاً من جبـل الكرمل، وبـاتجاه الجنـوب تقع مدينـة قيساريـة الفلسطينية، التي هي مطـرانية، ومـدينة كورنيلـوس، قائد المائة الروماني، الذي عمده القديس بطـرس هناك، وعمله أسقفاً، وهناك يوجد برج ستراتـو، وهناك أيضـاً بنى هيرود ميناءً مـن الرخام الأبيـض لمواجهة قـدوم أغسطس، وبنى هيرود نفسـه البرج الذي يتحكم بـالقدس، وهـو الذي يعرف باسم برج داود، ويخبرنـا يوسفيوس بأنه بنى هذا البرج وسماه «أنطونيا».

وعلى مسـافة ثمانيـة أميـال من النـاصرة، وبـاتجاه الكـرمل يقـوم جبل قيمون، فعنـد سفحه وإلى جـانب نبع هنـاك قتل لامخ أبـو نوح مقـدمه قاين بقوسـه ونشابه، ولهذا قال في ثورة جنونه وغضبـه: «لقد قتلت رجلاً أنـا معجب بـه، وذبحـت رجـلاً شابـاً لإيـذاء نفسي» وعـن قـاين قـال الرب:«إن الذي قتل قاين على هذه الصورة سـوف يعاقب عقاباً مضاعفاً سبع مرات». وعلى بعـد سبعة أميال من جبل قيمون يقـوم جبل الكرمل، الـذي نقـرأ عنه في نشيـد الإنشـاد قـولـه: «رقبتك مثل جبـل الكـرمل»، وللعيش عليـه اختـار ذلـك اليـاس المقدس لمدة طـويلـة ومعـه تلميـذه «إليشا».

الفصل الرابع والعشرون

يفصل لبنـان أدوم عن فيقيقيا، وفي فينيقيـا مدينـة صور، وهـي المدينة الأكثر شهـرة بين مدن الفينيقيين، وهي الحاضرة، التـي — تبعاً لـروايات

السريان— رفضت استقبال المسيح داخل أبوابها عندما كان يسير على شاطىء البحر، وهي أيضاً المدينة التي — وفقاً لصفحة مقدسة وبشهادة منها — قدمت شهداءً للرب، علمه فقط يمكنه أن يخبر عن عددهم، وفي صور قبر أورجين، وخارج صور تقوم الصخرة الرخامية الكبيرة التي جلس عليها يسوع، والتي بقيت بدون أذى منذ أيام المسيح حتى أيام إخراج المسلمين من المدينة، لكنها قطعت فيما بعد من قبل الفرنجة والبنادقة، وعلى كل حال لقد بني فوق المتبقي من تلك الصخرة كنيسة على شرف المخلص.

وعلى بعد ثمانية أميال من صور باتجاه الشمال، وعلى طرف البحر، تقوم الصرفند، وهي صربتا، Sarepta في أرض صيدا، حيث سكن هناك النبي إلياس مرة من المرات، فهناك أرجع إلى الحياة يونه، ابن الارملة التي أكرمت وفادته، وطمأنته وأطعمته، وعلى بعد ستة أميال من الصرفند تقوم مدينة صيدا، وهي مدينة نبيلة، جاء منها ديدو، وديدو هو الذي أسس قرطاج في إفريقية، وعلى مسافة ستة عشر ميلاً من صيدا تقوم بيروت، وهي مدينة ثرية جداً، وحدث في بيروت أنه ليس بعد مدة طويلة من آلام مخلصنا، كان هناك تمثال له، أخذه اليهود ووضعوه على صليب سخرية منهم ولاظهار كراهيتهم ورفضهم له،(وطعنوه) فصدر عنه دم وماء، وبناء عليه آمن كثيرون به، وهو الذي صلب فعلاً، وتعمدوا، وكان جميع الذين دهنوا بنقاط مما تساقط من التمثال قد تحرروا كلياً من كل مرض كانوا يعانون منه.وأرفات (تل ارفاد أو أرواد) مدينة تابعة لدمشق.

الفصل الخامس والعشرون

من أجل دمشق في سورية انظر التاريخ، فدمشق هي عاصمة سورية، وهي حاضرة مبجلة، وقد بنيت دمشق في سورية من قبل هيليزر He-liezer خادم إبراهيم،في الحقل الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، و

سكن عيسوفي دمشق، و سعير في أدوم، و سعير تعني صاحب الشعر الكثيف، ومعنى أدوم الاحمر، أو ذي الشعر الأحمر، ومن اسم أدوم عرفت تلك المنطقة كلها باسم أدوميا الذي ورد ذكرها في المزامير: «فوق أدوميا سوف أرمي حذائي» الخ، وتدعى أدوم أيضاً، ولذلك قال النبي: «من الذي جاء من أدوم، والذي يرتدي ثياباً ملونة من بصرى»؟ وجزء من تلك البلاد يعرف باسم حوران (Hus)، ويدعى أيضاً باسم سوتا Sue-ta (السواد)، التي كان منها بلداد السوتي (السوادي)، وفيها أيضاً تيماء، التي هي المدينة الرئيسية في أدوميا، ومن تيماء جاء علفز Eliphaz التيمائي، ويوجد في موضعه مدينة نعمان، التي جاء منها زفر Sophar النعماني، وهؤلاء الثلاثة كانوا المطمئنين ليعقوب.

وفي منطقة أدوم، وعلى مسافة ميلين من الأردن، هناك مخاضة يبوق(غربي الزرقا)، وكان يعقوب، بعد عبوره لها، عندما كان عائداً من بلاد الرافدين قد تصارع مع الملاك، الذي غير اسمه من يعقوب إلى اسرائيل، وفي أدوم يوجد جبل سعير (حرمون)، الذي تقع دمشق على مقربة من سفوحه، وعلى مسافة ميلين من دمشق يقوم المكان الذي ظهر فيه المسيح لشاول، قائلاً: «شاول، شاول، لماذا أنت تعذبني»؟، وهناك أشع نور عظيم جداً من السماء حول بولص، وفي دمشق تولى أنانيس تعميد شاول،، ومنحه اسم بولص، ومن فوق أسوار دمشق تمت تدلية بولص إلى الأرض، لأنه خاف من غضب معذبيه.

وفسر اسم لبنان بأنه البياض، وورد ذكره في نشيد الإنشاد قوله: «تعالي ياحمامتي من لبنان»، وينبع من لبنان نهرا: أبانا (نهر القاسمية)، وفرفر (العاصي)، وهما نهري دمشق، ويجري أبانا خلال جبال لبنان، وفي سهول منطقة أركاسArchasمتخذا طريقه نحو البحر الكبير، حيث الأمكنة التي اتخذها يوستاخيوس Eustachius مقراً لحياته بعد فقدانه لزوجته وأولاده، بينما يجري فرفر خلال سورية إلى أنطاكية، وبعد عبوره

لأسوارها، يصب هو نفسه في البحر المتوسط، وذلك على بعد عشرة أميال من أنطاكية، في ميناء السويدية الذي هو ميناء القديس سمعان، وكانت أنطاكية لمدة سبع سنوات الكرسي بالنسبة للقديس بطرس الرسول، الذي لبس التاج البابوي هناك لمدة سبع سنوات وعند سفح لبنان تقوم مدينة بانياس أوبلنياس، التي هي تدعى أيضا باسم: قيسارية فيليب.

وعند سفح لبنان ينبع نبعا «ار» و «دان»، ويشكل هذان النبعان الأردن، عند سفح جبال الجليل، ويدعى الوادي القائم فيما بين جبال جلبوع وبحيرة أسفلت باسم «الغور» أو أولون Aulon، التي هي كلمة عبرية (كذا واقرأ: اغريقية)، وأطلق هذا الاسم أيضاً على الوادي الخصب والواسع، المحاط بالجبال على الجانبين، من لبنان إلى صحراء فاران، ويفصل الاردن الجليل عن أدوم، وعن أرض بصرى، التي هي المدينة الثانية في بلاد أدوم، ومعنى الاردن هو «النزول».

ويجري دان تحت الأرض تقريباً من نبعه حتى مزيريب (Medan) فهناك يستأنف مسيره بشكل مكشوف فوق الأرض، ويدعى هذا السهل باسم «مدان» لأن دان في وسطه، وهكذا يعرف بلغة المسلمين، وباسم «بلاتيا Platea » باللاتينية، وتعرف «مدان» أيضاً باسم «موضع السوق»، لأن أعداداً لاتحصى من الناس تجتمع هناك في بداية الصيف، ويجلب هؤلاء الناس معهم جميع أنواع الأشياء للبيع، ويبقى هناك عدد واسع من الفرس والعرب طوال الصيف بغرض القيام بحماية الناس ورعي مواشيهم، وتتألف كلمة «مدان» من كلمتي: «مد» و «دان»، وتعني كلمة «مد» بلغة المسلمين «ماء» و«دان» نهر، وبعدما يغادر «دان» السهل المتقدم الذكر، يصبح نهراً يجري خلال السواد (Sueta) حيث الهرم التذكاري ليعقوب المبارك، وهو مايزال موجوداً، وهو محط احترام من قبل الملوك والأمم، وينعطف دان نحو الجليل الاسلامية، ويجري

خلال مدينة جدر (أم قيس) إلى جانب الحمامات الطبية، خلال سهل الأشواك، ويندمج «بالأر»، و«الأر» يصنع بحيرة (الحولة) ليس بعيداً عن بانياس، ومنها نفسها يأخذ طريقه فيما بعد إلى بحر الجليل بين بيت صيدا وكفرنا حوم، حيث تكون هنا بدايته.

الفصل السادس والعشرون

وجاء من بيت صيدا بطرس، ويوحنا، وأندرو، وجيمس بن ألفيوس، وعلى مسافة ستةأميال من بيت صيدا تقع كوروزين Chorazain (قلعة الحصن) فهناك المسيح الدجال المضلل للعالم سوف ينشأ وينتعش، وعن كوروزين وبيت صيدا قال يسوع: «الويل لك كوروزين، والويل لك بيت صيدا»، وعلى بعد ستة أميال من كوروزين تقوم بلدة جدر (أم قيس)، وهي المدينة الأعظم مجداً، وهي التي نقرأ عنها في المزامير: «لقد سكنت بين سكان جدر»، وتفسير كلمة جدر هو «في الظلام»، وتقع كفرنا حوم (تلحوم) على الطرف الأيمن من البحر، وهي مدينة قائد المائة، وفيها شفى يسوع ابن قائد المائة، والذي قال عنه: «إنني لم أجد مثل هذا الايمان العظيم في اسرائيل»، وصنع يسوع في كفرنا حوم كثيراً من المعجزات، وقام بالتعليم في الكنيس، وتفسير اسم كفرنا حوم هو: «البيت الأعظم جمالاً» أو «ابنة الجمال»، الذي يعني بالنسبة لنا ويشير إلى الكنيسة المقدسة، فجميع الذين يأتون إليها من لبنان، أو بالحري من بياض الفضيلة، سوف يتحولون فيها وبها إلى أكثر ألقاً.

ويقوم على ميلين من كفرناحوم سفح الجبل (خان منية) الذي وعظ فيه الرب الحشود، وبعث أمامه حواريه لتعليمهم، وشفى هناك المجذوم، وعلى ميل من هذا السفح يوجد المكان الذي أطعم فيه خمسة آلاف انسان بخمسة أرغفة وسمكتين، ولهذا يدعى هذا المكان باسم المائدة، لأنه كان موضع الاطعام، ودونه غير بعيد يقوم المكان الذي ظهر فيه في الساعة الرابعة من الليل لبطرس وأندرو، عندما كانا يصطادان

السمك، ووقتها رغب بطرس بالتوجه إليه فوق البحر، وبدأ يغرق، فقال المسيح له: «ياقليل الايمان لماذا شككت»؟، وهنا قام مرة أخرى بتهدئة البحر، عندما كان حواريوه في خطر، وعند رأس البحر، وعلى الجانب الأيمن هناك انهدام في الجبل اسمه جنسارث (الغوير)، وهو «المكان الذي يرعى الريح»، الأمر الذي مازال يشعر به حتى الآن الذين يزورونه.

وعلى بعد ميلين من جنسارث يقوم المجدل، وهو مكان ولادة مريم المجدلية، وتدعى هذه المنطقة باسم جليل المسلمين، وهي قائمة في دار سبطي: زبلون ونفطليم، وفي الجزء الأعلى من هذا الجليل تقوم العشرون مدينة اللائي أعطاهن الملك سليمان إلى صديقه حيرام ملك صور، وعلى ميلين من المجدل تقوم مدينة سينيرث، التي تدعى أيضاً باسم طبرية، ذلك أنها نالت اسمها من القيصر تايبيروس، وهذه المدينة غالباً مازارها يسوع عندما كان شاباً، وعلى مسافة أربعة أميال من طبرية تقوم مدينة بيت أوليا (كذا، والاشارة هنا إلى صفد، ولعل بيت أوليا الآن هي مثليا) التي تنتمي إليها يودث، التي قامت أثناء حصار مدينتها بعمل على درجة كبيرة من البراعة بقتلها أولوفرنس، وأنقذت شعبها، وعلى أربعة أميال من طبرية باتجاه الجنوب (اقرأ: الشمال) تقوم دوثيم (خان جب يوسف) فهناك وجد يوسف أخوته يرعون قطعانهم، ولكراهيتهم له باعوه إلى الاسماعيليين هناك، وعلى بعد ستة عشر ميلاً من الناصرة، وباتجاه الشرق، عبر بحر الجليل تقوم جرجوسيا Gergesa ، وهي القرية التي رد فيها المخلص إلى الصحة الذين تلبسهم الشيطان، وأرسل من هناك قطيع الأوز عبر مكان شديد الانحدار إلى البحر.

الفصل السابع والعشرون

إلى القارىء

هكذا قمت بقدرما أستطيع بوصف الأماكن المقدسة في مدينة

القـدس، شروعـاً من كنيسـة الضريح المقـدس، وطفت مـن حـولها، من خلال باب داود، حتى عدت إلى المكـان نفسه، وأسقطت ذكر عدد كبير من البيع والكنائس الصغيرة، المدارة من قبل أنـاس من مختلف الشعوب واللغـات، لأنـه هناك: الاغـريـق، والبلغار، والـلاتين، والألمان، والهنغـار، والسكوتلنديين، والبوهيميين، والجورجيين، والأرمن، والكفتوريين Caph-eturici ، والموارنـة، وعـدد كبير آخـر يحتـاج ذكـرهم إلى وقـت طـويل: وهكذا دعونا مع هذا ننهي هذا الكتاب الصغير، آمين

صيغة الـدعاء بمناسبة عيـد ذكرى استرداد مدينة القـدس من الكفار، وذكرى تبدل شكل ربنا، الذي يستخـدم في الكنيسة الكاتدرائية للضريح المقدس في القدس.

صيغة الدعاء بمناسبة استرداد مدينة القدس

اليـوم الخامس عشر من تموز هـو يـوم عيـد تكريـس كنيسـة الضريح المقدس، حيث يقـام في ذلك اليوم احتفـال عظيم بمناسبة ذكـرى تحرير القدس مـن قبل المسيحيين، وفي إيماءة إلى هذا يتكون المدخـل الطقوسي الغنائي الذي يجري قبل القداس، من الأناشيد التالية:

Laetare Jerusalem, Kyrie Eleyson, Cunctipotens» genitor Deus «.

والدعاء كما يلي:

«أيها الـرب القديـر، والسرمـدي، لقـد أنقذت القـدس بفضل جـودك الرائع، أنقذت القـدس مدينتك من أيدي الكفـار، وأعدتها للمسيحيين، كن معنـا أيها الرب، فنحن نتوسـل إليك، وساعـدنا، نحن الذيـن نداوم على الاحتفـال بهذا اليوم المقـدس كل عـام، بكل تقـوى، علّنا أن نكـون أهلاً لنيل متع القدس السماوية من خلال ربنا» الخ.

وبعد النص الرسولي يغنى شعر «Surgeilluminare» وتكون الهلالوليا (أو الأناشيد التي تغنى قبل الانجيل) هي: Dies Sanc-tificatus ، بالتدريج ، أو بالترتيلة الجماعية Omnes de saba .

ويغنى بعد الانجيل شعر:« Cum Intruret Jesus Hier-osolymam » .

وبعد الطقس تأتي التقدمة Offertoria ، أو جمل تُقرأ عند وقت التقدمة الأولى هي: الـ Secreta ، أو دعاء وقت التكريس للعناصروهو:

«أيها الرب، نلتمس منك أن تتقبل بكرمك هذه التقدمة التي نقدمها إليكم بتواضع، وأن تمنحنا بأسرار قدرتها نحن الذين نحافظ على هذا اليوم الذي أنقذت فيه القدس من أيدي الكفار، في أن نكون لائقين لأن نصبح من أهل القدس التي هي في السماء، من خلال ربنا» الخ، الخ.

ويُغنى عند القداس العام، أو الدعاء وقت تسلم عناصر التكريس النشيد التالي: «Jerubsalem surge » الخ.

الدعاء

«امنحنا يارب، أن تكون التضحية التي قمنا بها، صحة لكل من أجسادنا وأرواحنا، وأن نكون نحن الذين نبتهج هذا اليوم بسبب تحرير مدينة القدس، جديرين بوراثة القدس التي هي بالأعلى، من خلال»، الخ.

القداس في يوم تبدل هيئة الرب

دعاء

«يارب، يامن كنت مسروراً في تغيير هيئة ذاتك فوق الجبل، وفقاً لتركيبتنا، نلتمس منك أن تمنحنا أيضاً النور الذي تكرمت وأريته لحواريك، والذي هو مع الآب»،الخ

ويحتفل بعيد تغيير هيئة ربنا على جبل الطور في اليوم الثامن من قبل اليوم الرابع عشر من آب. (٦ — آب).

والمدخل الطقوسي الغنائي هو: «Benedicta sit sancta . Per Dominum ».

الدعاء

«يارب، يامن قمت في هذا الوقت بالكشف عن ذاتك على أنك ولد مولود فقط، وتحولت بشكل رائع في السماء وعدت إلى الآب للعهدين القديم والجديد، نلتمس منك أن تمنحنا، بعملنا هذه الأشياء التي هي مرضية لك، أن ننال التأمل الأبدي في أمجاد من أنت أبوه، أنت يامن أعلنت عن نفسك ورضاك، وذلك من خلال ربنا»، الخ.

والـ Secreta، أو الدعاء لدى تكريس العناصر:

«يارب، أيها الأب المقدس والقدير، نلتمس منك أن تتقبل التقدمات التي نقدمها في ذكرى تغيير الهيئة الرائع لابنك، وامنحنا برحمتك أن نتحرر من الاضطرابات الأرضية، وأن نشترك في البهجة السماوية من خلال ربنا»، الخ، الخ.

والقداس العام، أو الدعاء لدى تسلم تكريس العناصر:

«يارب، يامن جعلت هذا اليوم مقدساً بتغيير هيئة كلمتك المتجسدة، وباعترافك به بصوتك على أنه ابنك، نلتمس منك أن تمنحنا بفضيلة الطعام المقدس هذا، أن نكون جديرين لأن نصبح أعضاءً في جسده، جسد الذي أمرنا أن نفعل هذا، في تذكر لنفسه، إنه يسوع المسيح، ابنك ياربنا، الذي هو معك»، الخ، الخ.